4 me Année, No. 145. — Lundi-13-4-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العــــدد ١٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٥٥ — ١٣ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

اللغة والدين والعادات

باعتبارها من مقومات الاستقلال

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ليست حقيقةُ الأمة فى هذا الظاهرِ الذى يبدو من شعبٍ مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه ؛ ولكن تلك الحقيقة هى الكائنُ الروحىُّ الكامنُ فى الشعب ، الخالصُ له من طبيعته ، المقصورُ عليه فى تركيبه ؛ كعصير الشجرة لا يُرى عملُه والشجرةُ كلُّها هى عملُه

وهذا الكائن الروحى هو الصورةُ الكبرى للنسب فى ذوى الوشيجة من الأفراد ، بيد أنه يحقق فى الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض ؛ فيجعل للأمة شأن الأسرة ، ويخلق فى الوطن معنى الدار ، ويوجد فى الاختلاف نزعة التشابه ، ويردُّ المتعددَ إلى طبيعة الوحدة ، ويبدع للأمة شخصيتها المتميزة ، ويوجب لهذه الشخصية بإزاء غيرها قانونَ التناصر والحميّة ؛ إذ يجعل الخواطر مشتركة ، والدواعى مستوية ، والنوازع متآزرة ، فتجتمع الأمة كلها على الرأى : تتساند له بقواها ، ويشد بعضها بعضاً فيه . وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع فى كلمة الأمة معناها

... القوى الذى ينشئه الأمة كائنُها الروحى ، هو المبادئ
... من أثر الدين واللغة والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد
... من نفسه ، إذ يعمل فى الحيِّز الباطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرِّفاً لبواعث النفس ؛ فهو وحده الذى يعلَّ الحى بنوع حياته ، وهو طابع الزمن على الأمم ، وكأنه على التحقيق وضعُ الأجداد علامتهم الخاصة على ذريتهم

* * *

أما اللغة فهى صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائماً بخصائصه ؛ فهى قومية الفكر ، تتحد بها الأمة فى صور التفكير وأساليبِ أخذ المعنى من المادة . والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها ؛ وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث فى الأسباب والعلل ؛ وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودأبه فى المستعبَدين لزومُ الكلمة والكلمات القليلة

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتى ذلك إلا من روح التسلط فى شعبها ، والمطابقةِ بين طبيعته وعملِ طبيعته ، وكونه سيد أمره ، ومحقق بوجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه . فأما إذا كان منه التراخى والاهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، وإصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والاكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابعٌ لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزىءٌ ببعض حقه ، مكتفٍ بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذى أكثره للحرمان وأقله للفائدة التى هى كالحرمان

لا جرم كانت لغةُ الأمة هى الهدف الأول للمستعمرين ؛ فلن يتحول الشعب أوَّلَ ما يتحوَّلُ إلا من لغته ؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسبِ ماضيه ، ورجعت قوميتُه صورة محفوظة فى التاريخ ، لا صورة محقَّقة فى وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشىء على لغة ، ونشأ الثانى على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا فى العاطفة كأبناء ثلاثة آباء

وما ذلَّت لغةُ شعب إلا ذلَّ ، ولا انحطت إلا كان أمره فى ذهاب وإدبار . ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغتَه فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ، ويُشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقُهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة فى عمل واحد : أما الأول فحبسُ لغتهم فى لغته سجناً مؤبداً ؛ وأما الثانى فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ؛ وأما الثالث فتقييدُ مستقبلهم فى الأغلال التى يصنعها ؛ فأمرهم من بعدها لأمره تَبَع

والذين يتعلَّقون اللغاتِ الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة من قِبَل الدين أو القومية . فتراهم إذا وهنَت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهةُ للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم ؛ فلا يستطيع وطنهم أن يوحى اليهم أسرار روحه ؛ إذ لا يوافق منهم استجابةً فى الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءهم من أهلهم ثم تكون العواطف فى هذه الدماء للأجنبى ؛ ومن ثمَّ تصبح عندهم قيمةُ الأشياء بمصدرها لا بنفسها ، وبالخيال المتوهَّم فيها لا بالحقيقة التى تحملها ، فيكون شىء الأجنبي فى مذهبهم أجلَّ وأعظم لأن اليه الميلَ وفيه الاكبارُ والاعظام ، وقد يكون الوطنى مثله أو أجل منه بيد أنه فقد الميلَ ، فضعفت صلتُه بالنفس ، فمادت كل مميزاته لا تميِّزه

وأعجبُ من هذا فى أمرهم ، أن أشياء الأجنبى لا تحمل معانيها الساحرةَ فى نفوسهم إلا إذا بقيت حاملةً أسماءها الأجنبية ، فان سمَّى الأجنبىُّ بلغتهم القوميَّة نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة . . . وما ذاك إلا لِصِغَر نفوسهم وذلِّها ، إذ لا ينتخون لقوميتهم فلا يلهمهم الحرفُ من لغتهم ما يُلهمهم الحرف الأجنبى

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها ؛ وليس فى العالم أمةٌ عزيزةُ الجانب تقدم لغة غيرها على لغة

ها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعاً إلا من وراء ود الأشياء الوطنية ؛ ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا ، لكان وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا

فاللغات تتنازع القومية ، ولهيَ والله احتــلالٌ عقلي في وب التي ضعفت عصبيتها ؛ وإذا هانت اللغة القومية على ها ، أثّرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثّر الجوُّ الأجنبي الجسم الذي انتقل اليه وأقام فيه

أما إذا قويت العصبية ، وعزّت اللغة ، وثارت لها الحميّة ؛ ن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمةً يُرتَفَق بها ، ويرجع بشبر أجنبي شبرا لا متراً . . . . وتكون تلك العصبيةُ للغة القومية دةً وعوناً لكل ماهو قومي ؛ فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع وة قاهرة غالبة ، هي قوة الايمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن ؛ متى تعيّن الأولُ أنه الأولُ ، فكل قُوى الوجود لا تجعل الذي عده شيئاً إلا أنه الثاني

* * *

والدينُ هو حقيقةُ الخلُق الاجتماعي في الأمة ، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقةً واحدةً على اختلاف المظاهر الاجتماعية عاليةً ونازلة وما بينهما ، فهو بذلك الضمير القانوني للشعب ، وبه لا بغيره ثباتُ الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب

ولهذا كان الدينُ من أقوى الوسائل التي يُعوّل عليها في إيقاظ ضمير الأمة ، وتنبيه روحها ، واهتياج خيالها ؛ إذ فيه أعظمُ السُّلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات . فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ؛ ومتى قوي هذا السلطان في شعب ، كان حميّاً أبيّاً ، لا تُرغمه قوة ، ولا يعنو للقهر

ولولا التديّن بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس ؛ ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحي في فضائل الحياة ، وتعيينَ تبعته في حقوقها وواجباتها ، وجعلَ ذلك كلّه نظاماً مستقراً فيه لا يتغير ، ودفعَ الانسان بهذا النظام نحو الأكمل ، ودائماً نحو الأكمل

وكل أمة ضعف الدينُ فيها ، اختلّت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها في بعض ؛ فان من دقيق الحكمة في هذا الدين أنه لم يجعل الغايةَ الأخيرةَ من الحياة في هذه الأرض ؛ وذلك لتنتظم الغايات الأرضية في الناس ؛ فلا يأكل بعضهم بعضا ، فيغتني الغنيُّ وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثواب الأعلى في أن يعود على الأسفل بالمبرّة ، وثوابُ الأسفل في أن يصبر على ترك الأعلى في منزلته ؛ ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الالٓهية الواحدة ، التي لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير ؛ وهي الحق ، والصلاح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى

ومادام عملُ الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب في عمله ، المعتز بقوته ، المطمئن الى صبره ، النافر من الضعف ، الأبيّ على الذل ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت في المدافعة عن حَوزته ، المجزيّ بتساميه وبذله وعطفه وإيثاره ومفاداته ، العامل في مصلحة الجماعة ، المقيَّد في منافعه بواجباته نحو الناس — ما دام عمل الدين هو تكوين هذا الخلق — فيكون الدين في حقيقته هو جعل الحس بالشريعة أقوى من الحس بالمادة ؛ ولعمري ما يجد الاستقلال قوةً هي أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقرّر في نفوس الأمة وانطبعت عليه

وهذه الأمة الدينيــة التي يكون واجبها أن تَشرُف وتسود وتعتزّ ، يكون واجب هــذا الواجب فيها ألاّ تسقط ولا تخضع ولا تذل

وبتلك الأصول العظيمة التي ينشئها الدين الصحيح القوي في النفس ، يتهيأ النجاح السياسي للشعب المحافظ عليه المنتصر له ؛ إذ يكون من الخلال الطبيعية في زعمائه ورجاله ، الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة في الحق ، والايمان بمجد العمل ، وتغليب ذلك على الأحوال المادية التي تعترض ذا الرأي لتفتنــه عن رأيه ومذهبه : من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو موافقة الهوى ، أو خشية النقمة ، أو خوف الوعيد ، إلى غيرها من كل ما يستميل به الباطلُ أو يُرهب به الظلم

ولا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن ، القوي الايمان ، الممتلئ ثقة ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما يلقى في سبيلها — لا يكون رجلاً كالناس ؛ بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزء من طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه ؛ هو رجلُ صدْق المبدإ ، وصدق الكلمة ، وصدق الأمل ، وصدق

النزعة _ الرجل الذى ينفجر فى التاريخ كلما احتاجت الحياة الى إطلاق قنابلها للنصر

* * *

والعادات هى الماضى الذى يعيش فى الحاضر ، وهى وحدة تاريخية فى الشعب ؛ تجمعه كما يجمعه الأصل الواحد ؛ ثم هى كالدين فى قيامها على أساس أدبى فى النفس ، وفى اشتمالها على التحريم والتحليل ؛ وتكاد عادات الشعب تكون ديناً ضيقاً خاصاً به ، يحصره فى قبيله ووطنه ، ويحقق فى أفراده الألفةَ والتشابك ، ويأخذهم جميعاً بمذهب واحد : هو إجلال الماضى

وإجلال الماضى فى كل شعب تاريخى ، هو الوسيلة الروحية التى يستوحى بها الشعبُ أبطالَه ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهلَ الفنّ منه ؛ فيوحون اليه وحتى عظامهم التى لم يبلها الموت ؛ وبهذا تكون صورهم العظيمة حيّةً فى تاريخه ، وحيّةً فى آماله وأعصابه

والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئاً نفسيّاً حقيقياً ؛ حتى ليشعر الانسان أن لأرضه أمومةَ الأم التى ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذى جاء به إلى الحياة . وليس يعرف هذا إلا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ؛ فهناك ُهناك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا

وهذه الطبيعة الناشئة فى النفس من أثر العادات هى التى تنبه فى الوطنى روحَ التميز عن الأجنبى ، وتوحشُ نفسه منه كأنها حاسّة الأرض تنبه أهلها وتنذرهم الخطر

ومتى صدقت الوطنيــة فى النفس ، أقرّت كلّ شىء أجنبى فى حقيقته الأجنبية ؛ فكان هذا هو أولَ مظاهر الاستقلال ، وكان أقوى الذرائع إلى المجد الوطنى

* * *

وباللغة والدين والعادات ، ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوّماتها ؛ فلا يسهل انتزاعُه منها ولا انتسافُه من تاريخه ؛ وإذا ألجئ إلى حال من القهر ، لم يتخذل ولم يتضعضع ، واستمر يعمل ما تعمله الشوكة الحادة : إن لم تترك لنفسها ، لم تعط من نفسها إلا الوَخْز ... ...

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

٢ ـ النهضات القومية العامة

فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

وإذا كانت حركة الرابطة الوطنية بقيت قوية عنيفة فى أو[ربا] طوال القرن التاسع عشر كما قدمنا ، فان هذه الحركة قد اقتر[نت] بها حركة رابطة الجنس ، ولم تتعارض الحركتان . فان الو[طن] الفرنسى والوطن الايطالى والوطن الاسبانى ، وغير هــذه الأوطان اللاتينية ترعرعت واشتدت ولم تتعارض مع الجا[معة] اللاتينية ؛ على أن اتفاق رابطــة الوطن مع رابطة الجنس يتـ[ـأكد] رائماً أخاذاً إذا انتقلنا إلى الشعوب الجرمانية ؛ فلكل شعب وطنه ؛ وكثيراً ما حاربت بروســيا فى الماضى دولاً أخر[ى] جرمانية ؛ وكثيراً ما حاربت النمسا وانتصرت عليها ، ومع ذلك فان الشعوب الجرمانية لا ينسيها الاغراق فى وطنيتها أ[نها] تنتسب جميعاً إلى جنس واحــد ، وأن دماً واحداً يجرى [فى] عروق الجميع

على أن ائتلاف رابطة الوطن مع رابطة الجنس يختلف [قوة] وضعفاً . فالرابطتان أضعف ما تـكونان ائتلافاً إذا كانت راب[طة] الوطن قوية متماسكة ، تستطيع القيام على رجليها دون حاجة [إلى] معين ؛ والمثل لذلك الوطن الفرنسى والوطن الايطالى ، والرابطة[ان] أقوى ما تـكونان ائتلافاً إذا ضــعف وطن ، فيستمسك بو[طن] آخر قوى من جنسه ، كما هو الحال بين النمسا وألمانيا ، وكذ[لك] إذا كان كل وطن ضعيفاً بذاته قوياً باجتماعه مع الأوطان الأخر[ى] من جنسه ، كما هو الحال بين الأقطار العربية ؛ وأخيراً إذا اندمج[ت] جنسيات متعددة فى أمبراطورية واحــدة ، ثم أخذت هـ[ـذه] الأمبراطورية المصطنعة فى الانحلال ، فان حركة الجنسيات تقو[ى] فى هذه الحالة ، وتتمخض عن حركات استقلالية ، كما وقع هـ[ـذا] الأمر للأمبراطورية النمسوية وللأمبراطورية العثمانية

* بقية المحاضرة الأولى من سلسلة المحاضرات التى ألقاها الأستـ[ـاذ] السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

وقد آن لنا أن ننتقل إلى المرحلة الثالثة فى النهضات القومية
ربية ، وهى المرحلة الحاضرة ، وقد بدأت منـذ فجر القرن
رين ، وبنوع خاص بعد الحرب الـكبرى

الوقت الحاضر : رابطة الوطن والجنس ورابطة الطبقات

نشهد فى الوقت الحاضر فى أوروبا صراعاً عنيفاً ما بين
لتين ، وكفاحاً مستعراً ما بين نظامين من نظم الحـكم . أما
بطتان فاحداها رابطة الوطن وتعززها رابطة الجنس ، والثانية
طة الطبقات أو الحركة الاشتراكية . وأما النظامان فأحدهما
النظام الديمقراطى ، والآخر هو النظام الدكتاتورى

وما بنا أن نعنى بحركة ضعيفة ولدت عرجاء بعد أن تمخضت
ا آلام الانسانية من أهوال الحرب الـكبرى ، وتلك هى
بطة البشرية ، تنتظم بنى البشر كافة فى جامعة واحدة ، يسمونها
وم بعصبة الأمم . فان رابطة البشرية هـذه لا تزال وليداً بين
ياة والموت ، فلندع لها بالبقاء ولنتركها جانباً

ولنستعرض الـكفاح الذى نشهده الآن فى أوروبا بين رابطة
وطن ورابطة الطبقات

ليس هذا الـكفاح وليد القرن العشرين ، بل هو قد بدأ
بذ القرن التاسع عشر ، وقد تعقبنا أصوله فى لمحة سريعة عند
ا كنا نتكلم فى تقدم الصناعات الـكبرى الذى قوى هاتين
الرابطتين المتناقضتين . والآن نعرض لهذا الـكفاح فى شىء من
التفصيل ، فنتكلم فى الاشتراكية وقد قامت على رابطة الطبقات ،
ثم نتكلم فى الفاشـية والنازية ، وقد قامت الأولى على رابطة
الوطن والأخرى على رابطة الجنس

ا — الاشتراكية

بدأت الاشتراكية تتأصـل جذورها فى أوروبا منذ القرن
التاسع عشر . وقد نبتت فى تلك التربة الصناعية التى سبق لنا
ذكرها ، إذ كثر عدد الطبقات العاملة ، واستغلهم أصحاب
رؤوس الأموال استغلالاً تأباه الانسانية . فوجدت الاشتراكية
جواً صالحاً تترعرع فيه وتزدهر . على أن المذهب الاشتراكى
لم يكن وليد القرن التاسع عشر ، فهو مذهب قديم ، يمكن أن
ترجع أصوله إلى أفلاطون الفيلسوف اليونانى المعروف ، وقد
كان يقول بالشيوعية فى الملـكيـة وفى الأسرة ، ووضع كتابه
«الجمهورية» يؤيد فيه هذا المذهب . وقام فى أوائل القرن السادس
عشر توماس مورا يقول بالشيوعية فى المال دون الأسرة ،
فى كتابه « جزيرة أتوبيا » . ولـكن الاشتراكيـة لم تأخذ
شكلاً علمياً منظماً إلا بقلم زعيمها الأكبر كارل ماركس نبى
الاشتراكية فى أواسط القرن التاسع عشر

وللاشتراكية فلسفة علمية ولها خطط عملية . أما فلسفتها
فنظرة مادية إلى وقائع التاريخ ، وتفسـير هذه الوقائع تفسيراً
اقتصادياً محضا . وهذا ما يسمى عادة بالمادية التاريخية أو بالتفسير
الاقتصادى للتاريخ . أما خططها العمليـة فقد انقسم أنصارها
بالنسـبة لها إلى فريقين : فريق معتدل يقول بالعمل فى الدائرة
الدستورية ، والوصول إلى الحـكم من طريق النظم النيابيـة
المشروعة ، أى اتخاذ الديمقراطية وسـيلة لتحقيق الحـكومة
الاشتراكية . وفريق متطرف يقول بعدم الجدوى من كل هذه
الخطط ، ولا بد من الثورة والانتقاض على الديمقراطية الرأسمالية
وهد أركان النظام النيابى ، والاستيلاء على الحـكم بالقوة ، حتى
تتحقق الحـكومة الاشتراكية . وكان كارل ماركس قد أسس
الدولية الأولى فى سنة ١٨٦٤ فى لندن ، حتى يجمع شتات العمال
من جميع أطراف العالم . ثم لما انقسم أشـياعه إلى الفريقين
المتقدمى الذكر ، أسس الفريق المعتدل الدولية الثانية ، وأسس
الفريق المتطرف الدولية الثالثة ، وهى دولية موسكو المعروفة

وأقول لـكم كلمة موجزة عن المادية التاريخيـة أو التفسير
الاقتصادى للتاريخ ، حتى نتفهم المذهب الاشتراكى من ناحيته
الفلسفية . تتلخص هذه المادية التاريخيـة فى فكرة جوهرية ،
هى أن الحاجات المادية للانسان والعوامل الاقتصادية التى تحيط
به هى التى تسيّر التاريخ وتكيّـف الحوادث . وكل حوادث
التاريخ ومراحله المتعاقبة لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ؛
وليس للانسانية إلا تاريخ واحد ، هو تاريخها الاقتصادى المادى ؛
أما الدين ، وأما الأخلاق ، وأما المثـــل العليا ، وأما العظمة
والبطولة ، فكل هذا شىء مرده إلى المادة ، تحكمه وتسيطر
عليه . فالمذهب الاشتراكى ينظر إلى الحياة كوحدة لا تقبل
التجزئة وهى وحدة المادة لحمتها وسداها

وا[!] ـكرة الوحدة المادية للحياة توجد فكرة الحتمية ، ـير لا مخير ؛ وكل ما يقع فى العالم من حوادث هو من ـ الانسان ، ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعاً ، فلا اختيار له فيه ولا إرادة . ويقول لنا انجلز شريك ماركس فى تأسيس المذهب الاشتراكى الحديث : لا تظنوا أن الحركات الفكرية الكبرى التى تظهر من وقت لآخر هى وليدة أفكارنا ، بل هى وليدة الظروف الاقتصادية الملابسة ، كان لا بد من وجودها فوجدت ، وسخر لها أناس يقولون بها . ولو أن مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية لم يوجد لوجد لوثر آخر يدعو إلى ما دعا اليه لوثر الأول . وماركس نفسه ، إذا كان قد قال بالمادية التاريخية فذلك لأنها فكرة ولدتها ظروف البيئة الاقتصادية ، وكان حتما أن يقول بها رجل أراد القدر أن يكون ماركس . وأبطال التاريخ يولدون كما تولد الحركات الفكرية الكبرى ، تنشئهم الظروف الاقتصادية ؛ فنابليون وكرومويل وقيصر وغيرهم من عظماء التاريخ جاءوا فى الساعة التى كانوا لا بد أن يجيئوا فيها ، ولو لم يجيئوا هم بالذات لجاء غيرهم ، فيتغير الاسم ويبقى الرجل . وكل عصر له أبطاله ، إذا لم يجدهم عفواً فانه يخلقهم خلقاً . وإذا لم توجد البطولة الحق فى الرجل الزعيم ، فان حاجات الوقت المادية والمصالح الاقتصادية تنفخ فيه روح بطولة مصطنعة وتجعل منه رجل الساعة . هذا هو رأى انجلز فى البطولة والأبطال

فالعظمة ليست إذن إلا صنع الجيل وبنت البيئة . أما العوامل الحقيقية التى تصنع التاريخ صنعاً ، فليست هى بطولة العظماء ، إنما هى القوات الاقتصادية ، تبدأ فى تغيير الفكر البشرى ، ثم تدفعه إلى الأمام . وهكذا يرتبط الفكر بالعمل ، ويسوق ذاك إلى هذا . ومصدر كل من الفكر والعمل إنما هو العامل الاقتصادى ، مثل ذلك تقدم الصناعات الكبرى وتكدس رؤوس الأموال . هذا هو العامل الاقتصادى الذى يحكم العالم فى العصر الحاضر . وقد أوجد هـذا العامل طبقة أصحاب رؤوس الأموال ، أو البورجوازية ، قوية مسيطرة على أقدار العالم . ولكن هذا العامل الاقتصادى نفسه أوجد أيضاً طبقة العمال تستغلهم البورجوازية وتسلبهم ثمرة جهودهم . هذا الوضع الاقتصادى هو الذى أوجد حركة فكرية عند طبقة العمال ، وقد شعروا بالظلم يحيق بهم . وهذه الحركة الفكرية هى التى تدفعهم إلى العمل . فالعامل الاقتصادى هو الذى أوجد البورجوازية ، والبورجواز[ية] هى التى أوجدت العمال ، والعمال هم الذين سيهدمون البورجوازية وقد كتب كارل ماركس فى منشوره المشهور إلى الحزب الاشترا[كى] سنة ١٨٤٨ : « إن البورجوازية لم يقتصروا على صنع الأسلحة التى ستقتلهم ، بل هم هيأوا أيضاً الرجال الذين سيضربون بها الأسلحة »

فقيام البورجوازية وسيطرتهم على العالم الاقتصادى وسقوطهم بعد ذلك على يد العمال ، كل هذه حوادث تدفع الـ[ـانسانية] الانسانية دفعاً من طريق العوامل الاقتصادية ؛ فالرجال إذ[ن] مسخرون ، علموا أو لم يعلموا ، لخدمة حاجات اقتصادية اقتضتـ[ـها] البيئة التى يعيشون فيها ، وهم يظنون أنهم يعملون لأغراض مادية . فلوثر مثلاً كان يعتقد أنه يعمل لمجد المسيح ، والواقع من الأمر أن ثورته لم تكن إلا سداً لحاجة البورجوازية الألمانية التى كانت تستغلها الكنيسة الرومانية . وليس الرجال فى نشاطهم بوجه عام إلا ممثلين لطبقات اقتصادية ، يجيبون نداءها ، ويسدو[ن] حاجتها . اسمعوا ما يقوله كارل ماركس فى كتابه « بؤس الفلسفة » رداً على ما كتبه برودون فى كتابه « فلسفة البؤس » : « إ[ن] الروابط الاجتماعية متصلة اتصالاً وثيقاً بقوات الانتاج ، فالناس إذا حصلوا على قوات منتجة جديدة يغيرون طرق الانتاج ، وإذا غـيروا طرق الانتاج وغيروا كذلك نظام كسبهم للعيش فقد غيروا فى جميع روابطهم الاجتماعية . هذه هى طاحونة الهوا[ء] تنبت وسطاً أقطاعياً يسوده النبلاء . أما الطاحونة التى تدور بالبخار ، فتنبت وسطاً صناعياً يسوده أصحاب رؤوس الأموال . ونفس الرجال الذين يقيمون روابطهم الاجتماعية على مقتضى الطرق المادية للانتاج هم الذين يصوغون أيضاً المبادئ والأفكار والحدود وفقاً لروابطهم الاجتماعية »

فالعوامل الاقتصادية التى تصنع التاريخ فى رأى ماركس وانجلز هى وسائل الانتاج ، يضاف اليها وسائل النقل وتداول الثروة والبيئة الجغرافية التى تقوم فيها هذه العوامل الاقتصادية

وكل هذه العوامل الاقتصادية تدور حول نقطة واحدة ، هى الكفاح ما بين الطبقات . فالكفاح ما بين الطبقات يسود جميع النظم الاجتماعية : يسود النظام السياسى ، وما تاريخ الحكومة إلا تاريخ نضال مستمر ما بين طبقة وأخرى تتداول

سيادة والسلطان ؛ يسود النظام القانونى ، وما القانون إلا صورة منعكسة من وسائل الانتاج الاقتصادى ، وهو لم يوجد إلا لحماية المصالح الاقتصادية ، أى حماية مصالح الطبقة السائدة ؛ يسود الدين والفلسفة والأدب والأخلاق ، وإذا لم يكن الأصل فى هذا كله عاملاً اقتصادياً فان هذه العوامل الأدبية تتطور بعد نشوئها وفقاً للحاجات الاقتصادية ولمصالح المتغلب من الطبقات

ثم ينتقل ماركس وانجلز من بسط النظرية إلى تطبيقها على الحوادث التاريخية . فعندهما أن النظام الأقطاعى هو الذى خلق العصور الوسطى تسود فيها طبقة النبلاء ، وأن نظام الصناعة الكبرى هو الذى خلق العصور الحديثة تسود فيها طبقة البورجوازية ، وأن الكارثة لا بد واقعة : والكارثة لفظ له مدلوله فى إنجيل الاشتراكية ، فالاشتراكيون يتربصون الدوائر بالبورجوازية ، ويترقبون الوقت الذى سيحين لانتقال محتم إلى عصر جديد تحل فيه الكارثة بالبورجوازية على يد العمال

فماركس يستغل إذن نظريته فى المادية التاريخية ليخدم بها مذهبه الاشتراكى ، فينادى بالكفاح ما بين الطبقات ، ويحاول أن يوحد العمال فى جميع أنحاء العالم ، ويشعلها حرباً زبوناً بين بنى الانسانية جمعاء ، حرباً تقوم لا بين وطن ووطن ، ولا بين جنس وجنس ، بل بين طبقة وطبقة : بين البورجوازية والعمال ، فتسقط البورجوازية ويسود العمال

ونحن لانعرض بنقد أو بتحبيذ للمذهب الاشتراكى ونقتصر على أن نستخلص مما قدمناه أن هناك نزعة فى أوروبا وجدت منذ القرن التاسع عشر وقالت برابطة الطبقات ، وعارضت الروابط المبنية على الوطن والجنس ، واعتبرت العمال فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس إخواناً متآلفين . وهم جميعاً خصوم للبورجوازية فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس . وقد أخذت هذه النزعة تشتد شيئاً فشيئاً طوال القرن التاسع عشر ، ثم دخلت فى دور عملى حاسم أثناء الحرب الكبرى ، حيث قامت البلشفية فى الروسيا ، وأصبحت الاشتراكية مذهباً عملياً لنظام قائم من الحكم ، أقامه لينين على أنقاض القيصرية ، بعد أن اقتلعها واجتثها من أصولها . وأوجد انقلاب سنة ١٩١٧ النظام السوفييتى فى الروسيا فى ظروف معروفة ، ولا يزال هذا النظام قائماً فى الروسيا حتى الآن

ويذكرنا القرن العشرون ، بالنسبة لقيام الاشتراكية وانتشارها فى العالم برغم مقاومة الحكومات لها بالقرن التاسع عشر ، بالنسبة لقيام الحركات الوطنية وانتشارها فى أوروبا برغم مقاومة الحكومات الرجعية لها . والشبه غريب بين الحرب الكبرى وحروب نابليون ، وبين مؤتمر فرسايل الحانظ ومؤتمر فينا الرجعى

على أننا نريد أن نبسط الحقائق كاملة ، فليس من الدقة فى شيء أن نقول إن الاشتراكية بقيت وحدها فى الميدان ، بل يجب أن نفتح أعيننا على ما يجرى الآن أمامنا من صراع عنيف بين الاشتراكية والوطنية . فان الحركات القائمة على رابطة الوطن ورابطة الجنس لم تخمد جذوتها فى أوروبا ، بل هى قد زادت اشتعالاً . وكأن حرب الطبقات التى شهرتها البلشفية فى وجه العالم ، تلك الحروب الشعواء التى أذكى نارها العمال ثم صاروا لها وقوداً ، وهم يريدون من ورائها أن يبسطوا سلطانهم ، وأن يحكموا بالسيف والنار ، تلك الحرب العنيفة القاسية قد استفزت دعاة الوطنية فى أوروبا وألبتهم فوقفوا صفوفاً متراصة أمام هذا العدو المشترك . ووقعت الواقعة ، ونشب عراك دموى بين دعاة الاشتراكية ودعاة الوطنية ، وانضوى دعاة الوطنية فى أقوى مظهر من جهادهم تحت لواء حركتين مشهورتين : هما الفاشية الايطالية تحت قيادة موسولينى ، والنازية الألمانية تحت قيادة هتلر . ووقف كل من هاتين الحركتين سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف ، ووقف كل منهما يريد أن يبسط سلطانه . ونرجىء الكلام فيهما إلى المحاضرة القادمة

عبد الرزاق السنهوري

صور من القرن الثامن عشر

٢ ـ جاكومو كازانوڤا

مغامر مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قضى كازانوڤا صباه وفتوته الأولى محروماً من عطف والديه، يجوز حياة مضطربة، ويتقلب بين شظف العيش ورفاهته، ويلقى بنفسه المضطرمة إلى غمار من اللهو والادمان والخلاعة، ويلتمس متاع الحياة بأى الوسائل. وكان يرى الحياة لهواً ولعباً، ولـكن الحياة الناعمة تتطلب الرزق الوفير، ولا بد أن يجد كازانوڤا لنفسه وسائل الارتزاق. وكانت المقامرة يومئذ رذيلة المجتمع الرفيع، ولـكنها كانت أيضاً ملاذ المقامرين من كل ضرب، يلتمسون بها الرزق والثراء؛ وكازانوڤا مقامر بارع، فلم لا ينزل إلى هذا الميدان؟ وبسم له الحظ في المقامرة، وانتظم في سلك المقامرين المحترفين الذين يستحلون كل الوسائل للكسب أو للسرقة المستترة؛ ورأى فوق ذلك أن يتشح بثوب الخفاء، وأن يحترف الشعوذة وكشف الأسرار؛ وكانت الأذهان يومئذ تشغف بالخفي والمجهول، وكان كازانوڤا يجيد هذا الضرب من الشعوذة، وقد رأيناه يتخذه سبيلا لتمكين نفوذه لدى صديقه وحاميه الجديد السيد براجادين

وهكذا نزل كازانوڤا إلى ميدان المقامرة مسلحاً بأسلحة العصر، يلتمس الرزق من طريق المقامرة، ويلتمس النفوذ من طريق الشعوذة، ومن ورائه عصبة من الأصدقاء الأقوياء الذين يخلبهم بروائه وظرفه وشعوذته؛ وكانت هذه الحياة في نظر المقامر هي المثلى، وكان يرى المجتمع من حوله موبوءاً يموج رذيلة وفساداً، ويرى الشرف والـكرامة والنزاهة وكل ما إليها كلمات جوفاء لا يتحلى بها أرفع من يسودون المجتمع من امراء وأحبار وسادة، فكيف يطلب اليه هو أن يخضع حياته لمثل هذه الأباطيل؟

وكان كازانوڤا ينزل يومئذ عند السيد براجادين كما رأينا ويعيش منعما مرفهاً، يقضي أيامه في لهو ولعب ونزه وغزل لا ينقطع، يجوب شوارع البندقية المائية في قاربه الوثير ويتسقط مواعيد الحب كل مساء. وكانت المرأة عنده غاية الغايات، وكان الحب فنه ومهنته التي كأنه فطر عليها بطبيعته وخلاله وعواطفه، وكان مسلحاً لهذه الغاية بأخص الصفات التي تذلل له غزو القلوب، فقد كان بديع القد والتكوين، وسيم الطلعة، ذا سمرة جذابة؛ وكانت عيناه الواسعتان تنمان سحر وذكاء وشهوة؛ وكان ذا شخصية جذابة، حلو الحديث والشمائل، جواداً، جم الأدب والظرف، يضطرم حباً وجوى وكانت له فراسة خاصة في تفهم عقلية المرأة وميولها؛ وكان ظفره المتوالي في الحب يذكى عزائمه ورغباته، ويدفعه دائماً إلى البحث عن غزوات جديدة؛ وكان يشعر شيئاً فشيئاً أن البندقية لم يبق فيها ما يمكن أن يغزو وأن يستمرئ، وأن ايطاليا كلها قد غدت تضيق بجولاته ومغامراته؛ وكانت فرنسا تجذبه يومئذ بشهرتها وروعة الحياة الساطعة التي يحياها المجتمع الرفيع فيها؛ وسرعان ما سنحت له الفرصة لتحقيق أمنيته، فسافر الى باريس ليخوض غمار هذه الحياة الساطعة، وكان يومئذ في نحو السادسة والعشرين

وكان المجتمع الفرنسي، ينحدر يومئذ، في عهد لويس الخامس عشر، إلى نوع من الخمول الباهر، ويستمرئ حياة عاطلة من المثل المعنوية الرفيعة، فياضة بالرغبات والشهوات الوضيعة؛ وكانت دولة الغانيات، من أمثال دوبارى وبومبادور هي صاحبة الحول والسلطان يومئذ؛ وكان يلتف حول هذا الملك الخليع بلاط وضيع الخلال، يضرب بتهتكه وانحلاله للمجتمع الرفيع أسوأ المثل؛ وكانت حياة هذا المجتمع — مجتمع النبلاء والسادة — كلها لهو ولعب وحب وغزل وفساد ورياء؛ في هذا المجتمع الباهر الخامل معاً هبط كازانوڤا يبحث عن طالعه في عالم الحب؛ وهنالك تعرف منذ مقدمه بمواطنه الممثل الشهير ماريو باليتي وزوجته سلفيا، وكانا يومئذ من أعلام مسرح «الـكوميديا الايطالية»؛ فعلمه شيئاً من اللغة الفرنسية، وعرفه بكثير من الشخصيات البارزة من رجال ونساء؛ واندفع كازانوڤا

ى هذا العالم الجديد يتذوق مسراته ، ويتابع غزواته النسائية ن المثلات والراقصات وسيدات المجتمع الرفيع ؛ وهو يذكر ا في مذكراته التي نشير اليها فيما بعد ، طائفة من أسماء هؤلاء لائي ظفر بهن في تلك الفترة مثل ميمي ابنة السيدة التي نزل بندها ، والآنسة فزيان وهي فتاة أجنبية زائرة ، ولوزون مورفي لشهيرة التي أدخلت « حريم » لويس الخامس عشر فيما بعد ، رالآنسة سنت هيلير ، وسيلفيا زوجة صديقه ، وغيرهن ؛ واستطاع كازانوفا في نفس الوقت أن يتذوق طرفاً من الحياة الأدبية ، وأن يتصل ببعض كبار الأدباء والكتاب مثل فونتينل ودلامبير والأب فوازنون ومدام دي بوكاج ، وأن ينظم بعض القصائد ، وأن يترجم بعض القطع والرسائل

وعاد كازانوفا إلى البندقية (سنة ١٧٥٣) وقد فاضت نفسه غبطة وزهوا بما تذوق من صنوف اللهو الرفيع ، وما حقق لنفسه من ظفر في ميدان الحب ، وبدت له البندقية عندئذ ضيقة متواضعة ، بالنسبة لما رأى وشهد في باريس ؛ وذكت أطماعه وأمانيه ، وزاد غروراً وترفعاً واستهتاراً ، وأخذ ينظر إلى هذا المجتمع البندقي من عل ، ويتصل بالكبراء والسفراء ولا سيما سفير فرنسا الأب دي برني ؛ ولم يكن كازانوفا متحفظاً في أقواله أو أعماله . فكان يطلق العنان لآرائه المتطرفة ، ويزاول الشعوذة علناً ، وكان يثير على نفسه السخط في كل ناحية ، وكانت علائقه الغرامية موضع الحديث ومثار النقمة ؛ وكان ثمة جماعة من النبلاء والكبراء الذين يضايقهم بلسانه ومنافساته الغرامية يتربصون الفرص لسحقه ؛ وكان من هؤلاء كبير من كبراء الدولة هو « الشيخ » كوندلر النائب العام ؛ وكان لهذا الشيخ القوي صاحبة تدعى مدام زورزي سطا عليها كازانوفا وانتزعها منه ، فاعتزم التنكيل به ، وأطلق في أثره جواسيس الشرطة يقدمون عنه التقارير القاذفة ، وفيها أنه يتصل بالسفراء الأجانب بعلائق مريبة ، ويخدع البسطاء بزاعمه السحرية ، ويعيش على نفقة الغير ، ويغوي البنات والنساء المتزوجات ، ويسخر من الدين ، وينتمي إلى البناء الحر (الماسونية) ، وغير ذلك من التهم الخطيرة التي تكفي لادانته وإهلاكه

وعلى أثر ذلك قررت محكمة التحقيق (التفتيش) اعتقال المتهم ، وفي فجر ٢٦ يوليه سنة ١٧٥٥ ذهب مدير الشرطة مع ثلة من رجاله الى منزل كازانوفا واعتقله ، وأخذه مصفدا الى قصر الدوجات ؛ وهنالك ألقي به الى السجن الواجه في غرفة لا هواء فيها ولا نور تعمرها الجرذان والحشرات المختلفة ، وتكاد لانخفاضها تقصر عن ايواء قامته المديدة ؛ وفي الحادي والعشرين من أغسطس قضت محكمة التفتيش بادانته في التهم التي نسبت اليه ولا سيما الطعن في الدين ، وقضت بسجنه خمسة أعوام في سجن « الرصاص » الشهير (بيومبي) وهو الذي اعتقل فيه . وقضى كازانوفا أيامه الأولى في السجن في ذهول ويأس يكاد يمزقه الغيظ والكمد ، وكان منقطع الصلة بالعالم الخارجي ، لا يعرف شيئاً عن سبب اعتقاله أو مداه ؛ وكان يؤمل بادىء ذي بدء أن يسترد حريته بسرعة بمؤازرة بعض أصدقائه الأقوياء ، ولكن الشهور تعاقبت عليه دون أن ينفذ الى وكره المظلم شعاع من الأمل ، وأعقب الصيف الخريف ثم تعاقبت الفصول ، عندئذ ترك اليأس جانباً ، واستعاد عزمه وقوة نفسه ، وعول على الفرار ؛ ومازال يعمل في خفاء وصمت ، ويغالب الصعاب والرقابة الصارمة حتى نضج مشروعه . وفي ليل اليوم الأول من نوفمبر ، فر كازانوفا مع شريكه وجاره في السجن الأب بالبي ، وذلك بأن خرقا عرش الغرفة الرصاصي ، واستطاعا بعد مجهود عنيف مروع أن ينحدرا من جدران القصر الى ميدان القديس مرقص ، واستقلا زورقا حملهما في جوف الظلام بعيدا عن مواطن الخطر ؛ ولم يأمن كازانوفا على نفسه حتى جاز حدود البندقية الى أرض بورجو دي فالزجانو المجاورة ، وبذلك أمن شر مطارديه واستطاع أن يتنسم نسيم الحرية مرة أخرى

* * *

وتركت تلك المحنة في نفس كازانوفا أعمق الأثر ، وكان قد جاوز الثلاثين يومئذ ، واستحالت لديه نزعات الحداثة الى نوع من التفكير المتزن ، وأخذت الأطماع والأماني تغلب على نفسه ، وتخضع لديه نزواته المضطرمة ؛ وكان همه دائما أن يغزو المجتمع الرفيع ، ولكن غزو المجتمع الرفيع يقتضي مالا ومغامرة ؛ وكان المجتمع الباريزي الذي عرفه حيناً وتذوق فيه لذة الظفر والأمل يجذبه دائما ويلوح له بأعظم الأماني ؛ ولهذا نراه في باريس في يناير

سنة ١٧٥٧ يبحث عن طالعه كرة أخرى ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السيد براجادين يعده بمرتب حسن ، وكان صديقه الأب دى برنى سفير فرنسا السابق فى البندقية قد عاد الى فرنسا ، وتولى وزارة الخارجية ، فتقدم اليه يطلب عونه ، فأوصى به بعض كبراء الدولة ؛ وكانت المشكلة المالية أهم ما يشغل فرنسا يومئذ وفى سبيل حلها تقدم أغرب المشاريع والاقتراحات . وكان من بين المشاريع التى وضعت لايجاد بعض المال أن تصدر الدولة « أوراق يانصيب » يغطى إيرادها نفقات المدرسة الحربية التى أنشئت يومئذ لتخريج ضباط للجيش الفرنسى ؛ وكان يضطلع بالمشروع اخوان ايطاليان يدعوان كالسابيجى ، فاتصل كازانوفا بذوى النفوذ والمشرفين على العمل ، وكان يتمتع فى ذلك الميدان ببعض الخبرة ويقدم عن المشروع آراءه وملاحظاته ، فرؤى أن يعين مديرا للمشروع بمرتب ضخم وعمولة حسنة ، وصدر بالمشروع قرار وزارى فى أكتوبر سنة ١٧٥٧

وهكذا تبوأ كازانوفا منصباً خطيراً مربحا يحقق له تلك الحياة الناعمة المستقلة التى طالما طمح اليها ، واتخذ له مسكنا فخماً فى ضاحية سان دنى يموج بالنعم والحشم . وأقبل الناس على شراء أوراق اليانصيب الحكومية إقبالاً حسنا ؛ ووقع السحب الأول فى ابريل من العام التالى وأسفر عن نتائج مرضية ؛ ثم وقع مراراً خلال العامين التاليين ، وظفرت المدرسة الحربية بكل النفقات اللازمة ؛ وحقق كازانوفا لنفسه ربحاً وفيراً يقال إنه بلغ مائة ألف فى العام ، هذا عدا ما كان يربحه من أعمال التنجيم والشعوذة التى لم ينقطع عن مزاولتها ؛ وعهد اليه أثناء ذلك ببعض المهام الرسمية السرية فأداها بنجاح ؛ وعهد اليه أيضاً بمهمة مالية فى هولنده فأسفرت عن نتائج مرضية ؛ وهكذا ذاع اسمه وتوطد مركزه ، وزاد ثراؤه ، وشعر لأول مرة فى حياته بأنه غدا الرجل الذى طمح أن يغدو ، ينثر الذهب من حوله بلاحساب ، ويحقق لنفسه أعز الرغبات والأهواء والأمانى

واتخذ كازانوفا لنفسه خارج باريس مسكناً آخر غير مسكنه الباريسى أنيقاً وثيراً به حاشية باهرة ، وخيل مطهمة ، وهنالك كان يقضى معظم أوقاته فى متاع ومرح ، يطلق لنفسه عنان الهوى والحب ، ويستمرئ غزواته النسائية بلا انقطاع ؛ وكان كازانوفا يعشق الحياة الفخمة ، ويتملق بمظاهر العظمة والأناقة ، ولكنا لبث دائماً ذلك المحب النهم الذى تغلب لديه الغرائز الوضيعة ، والذى يسعى إلى إرضاء شهواته المضطرمة بأى الوسائل ، وفى أى الظروف والمناسبات

وانفق كازانوفا فى باريس بضعة أعوام فى عيش طروب خفض يغزو جميع القلوب ، وينعم بوصل السيدات والغانيات من كل ضرب ويزاول التنجيم والشعوذة ؛ وكان يتسمى عندئذ بالشفاليه دى سنجال ، أو الشفالييه سنجال دى فاروزى ، ويبهر الناس بروعة مظاهره وأساليبه ، ويتقرب من الأكابر ، وينعم بالجاه والنفوذ والثراء . بيد أن هذه الحياة الباهرة كانت تنضح دائماً عن جوانب وثغرات مريبة ؛ ذلك أن كازانوفا لم يكن متحوطاً فى مغامراته وعبثه ؛ ولم يكن يحجم عن أى الوسائل لاستلاب المال أو القلوب ؛ ومن ذلك أنه اشترك فى حادث تزوير أوراق مالية ، وأغرى عددا من أكابر السيدات ، ومنهن المركيزه دورفى التى خدعها واستحوذ على قلبها ومالها بشعوذته ؛ وسطا على كثير من الأزواج والآباء ، فاستلب منهم زوجاتهم أو بناتهم ، واتصل بجماعة خطرة من الأفاقين ولصوص المجتمع الرفيع يدبر معها الخطط والمشاريع المريبة ؛ وذاعت هذه الوقائع والفضائح المزرية ، وكادت تدفع بالمغامر الجرىء إلى غمار لا تحمد عواقبها ، ولكنه آثر الهجرة مرة أخرى ، وعزم عندئذ شطر هولندة مزوداً ببقية من المال والجاه وتوصيات بعض الأكابر

ونزل كازانوفا فى لاهاى سنة ١٧٥٩ ؛ واستأنف هنالك حياة البذخ والطرب ، يعيد سيرته التى جازها فى كل المواطن ، عاشقاً مضطرماً تحمله شهواته حيثما يحمله ظفره ، وتتساقط فرائسه بين أذرعه تباعا ، ويبتز المال من هنا وهنالك بكل الوسائل والحيل ، ويستمرئ حياة الخديعة والشعوذة والغواية إلى الذروة ، ويثير حوله بعد حين نفس الشكوك والريب التى يثيرها أينما حل ؛ وإذ يشعر بأن وسائله وحيله ومظاهره كلها قد نفقت ، وأن الجو يتجهم من حوله ، يعتزم الرحيل والنقلة . وهكذا غادر كازانوفا لاهاى كما غادر باريس من قبل مثقلاً بالريب والفضائح ، وهبط إلى لندن فى خريف سنة ١٧٦٣ تحدوه آمال وأمانى أخرى

(للبحث بقية)

محمد عبد الله عنان

الخصيان

أصل العادة وتاريخها وانتشارها

للدكتور مأمون عبد السلام

هوت الغيرة الجنسية بالانسان إلى دركة ما دون الوحوش ، وسوس اليه الشيطان أن ينتزع الرجولة من الأبرياء ليتخذهم خداماً يأتمنهم على عرض نسائه وحفظة لطهارتهن . هذا هو أصل فى اتخاذ الخصيان . وهى عادة لجأ إليها الصينيون والهنود البابليون والفرس من عصور خالية ، فقد أخبرنا هيرودوت عما كان للخصيان من السطوة فى دولة الفرس فى عهده

وقد عرفهم العرب من قديم فقالوا : خصى بعى وخصى ، وتقول العامة طواشى ، وهى كلمة مولدة ليست من كلام العرب . فقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يخصوا أسراهم كما كان يفعل قدماء المصريين ؛ وتجد ذلك مصوراً على جدران مدينة حابو ، وكما يفعل الأحباش الآن . وهذه العادة قديمة فى مصر ، فقد عثروا فى هرم أوناس على مخطوط عرف منه أن حوريس سل خصيتى سيت . وقد اتخذ الفراعنة الخصيان فى قصورهم فبلغوا من النفوذ والسطوة ما حدا بهم إلى قتل أمانيميس وهو الفرعون الثانى من العائلة الثانية عشرة

ونظراً للاعتقاد السائد بأمانة الخصيان فقد أطلق اسم الخصى على أمناء فرعون وملوك بنى اسرائيل ، فقد جاء فى سفر التكوين (٣٩ : ١) : (وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط) وكلنا يعلم أن فوطيفار وهو العزيز كان متزوجاً وقد راودت زوجه يوسف عليه السلام عن نفسه فأبى واستعصم

وقد اتخذ بنو اسرائيل الخصيان كما ذكر فى الكتاب المقدس (الملوك الثانى ٩ : ٣٢ — ٣٣ و ٢٤ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ وإستير ٦ : ١ — ٢) وقد حرمت التوراة اتخاذ الخصيان وخصاء الحيوان ، فقد جاء فى سفر التثنية (٢٣ : ١) : لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب . وجاء فى سفر اللاويين : ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب

وقد أخذ الاغريق هذه العادة عن الشعوب الأسيوية التى غزاها الاسكندر المقدونى فانتشرت بينهم بعد موته ؛ واسم الخصى عندهم يونوقوس eunochos (ومنها الكلمة الافرنجية يونوق eunoch (واشتقاقها من يونو euné بمعنى الفراش وايقيون ekheim بمعنى الحارس أى حارس فراش الزوجية

وقد أدخل هذه العادة هليو جابال إلى رومه فى عهد الأمبراطورية أى فى نهاية القرن الثالث وتفشت بعد ذلك فى الدولة البيزنطية

وقد حتمت بعض العبادات الخصاء على اتباعها ليتفرغوا للتعبد كما كان يفعل كهنة الهياكل الوثنية السورية القديمة

وقد جاء ذكر الخصيان فى انجيل متى (١٩ : ١٢) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » وقد اعتمد بعض المسيحيين المتقدمين على هذه الآية وخصوا أنفسهم ليتحرروا من الوقوع فى الخطيئة . وأول من فعل ذلك أوريجانوس الاسكندرى المولود سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٦ ميلادية ، وقد أحسن أبوه تهذيبه فتلقى العلم على أكابر علماء المسيحية أمثال بانطينوس وكليمان فى المدارس الكاثيدرائية وهى مدارس دينية كانوا يتلقون فيها الفقه المسيحى والعلوم الأغريقية (على نحو الجامعة الأزهرية فى الاسلام) ؛ وقد خصى نفسه زهداً منه فى الحياة الدنيا ورغبة فى تلقين النساء العلم . وقد قضى ثمانية وعشرين عاماً بالاسكندرية رحل خلالها إلى رومه وانطاكية وبلاد العرب خدمة للدين والعلم

وقد اقتدى الكثير من المسيحيين بأوريجانوس فظهرت فى القرن الثالث المسيحى فرقة الفليسيين نسبة إلى فليسيوس العربى رئيسهم الذى قال إن الخلاص لا يتم إلا بالخصاء ؛ فكانوا يخصون أنفسهم ومن يقع فى أيديهم تقرباً إلى الله تعالى . وقد ثبت المجمع النيقادى الذى عقده الامبراطور قسطنطين الخصاء فى قوانينه فاستمرت العادة بين بعض الطوائف المسيحية حتى

حرمها البابا ليو الثالث عشر

ورغماً عن ذلك فقد استمر بعض الروسيين إلى أول الثورة الشيوعية على اتباعها ، فقد كان منهم فرقة من الخصيان المتعبدين اسمها سكوبسى Skopsi أى الخصيان

وكان من عادة الطليان أن يخصوا الأولاد قبل البلوغ ليحافظوا على نعومة أصواتهم وحدتها للغناء فى الكنائس والمسارح إذ كانوا يمنعون النساء من مزاولة ذلك . فحرم هذه العادة البابا اكليمنس الرابع عشر ولكنه لم يتمكن من ابطالها حتى فى رومه عقر داره

ويحرم الدين الاسلامى الخصاء فى الانسان والحيوان ، وورد فى ذلك أحاديث ؛ وقد اعتبر أبو العباس رضى الله عنه الخصاء عملية شيطانية يحرمها المولى

وقد دفعت أبهة الملك معاوية بن أبى سفيان لمجارى ملوك الروم فى اتخاذ الخصيان فكان أول من اتخذهم فى الاسلام كما ذكر المسعودى . ومن ثم تفشت هذه العادة فى الدول الاسلامية وخاصة عند بنى عثمان وعنهم أخذنا كلمة (أغا) للخصى ، وأصل الكلمة أقا بالفارسية بمعنى السيد ؛ ويعنى بها العثمانيون الأخ الأكبر وصف الضابط ورئيس فرقة الانكشارية ، ثم أطلقت على الخصى ، وقد انتشر هذا الاسم فى ممتلكات آل عثمان كالشام ومصر والجزائر وغيرها

وكان جميع خصيان مصر وشمال إفريقيا وبلاد العرب والشام وتركيا من السود والحبشان ، وأصلهم من الرقيق يخصونهم فى بلدة باجرى بالسودان

وقد تكلم عن الرقيق بمصر بورخهاردت وهو رحالة سويسرى كان فى خدمة الانجليز جاء إلى مصر وقام فى ٢٢ فبراير سنة ١٨١٣ من أسوان إلى بلاد النوبة ، وكان يحكمها إذ ذاك أولاد حسن كاشف الثلاثة ، فذكر أن بورغو غرب دارفور كانت مكان خصاء الرقيق ومنها كانوا يحملون إلى سواكن ومكة والمدينة ومصر ، ولكن السواد الأعظم من الخصيان الذين يرسلون إلى أوروبا وتركيا كانوا من الرقيق الذى كان يصل إلى أسيوط ، وكانوا يخصون فى قرية تسمى زاوية الدير قرب أسيوط ، وكان يقوم بهذه العملية راهبان من أهلها حازا شهرة كبيرة فى ذلك . وكانا محط ازدراء المصريين جميعاً ؛ ولكنهما كانا يقومان بهذه العملية تحت حماية الحكومة مقابل ضريبة سنوية يدفعونها

ونسبة الوفيات من الخصاء منخفضة بعكس ما قد يعتقد ؛ فقد مات من جرائها اثنان من ستين ولدا خصوا فى خريف سنة ١٨١٣ ، ولا تزيد النسبة فى العادة على اثنين فى المائة . وكانت عادتهم أن يقوموا بهذه العملية حال وصول القافلة من دارفور أوسنار ويختار لها الأولاد من سن الثامنة إلى الثانية عشرة الذين يمتازون بقوتهم وتناسق أعضائهم وذكائهم

وكانت أجرة العملية ستين قرشا . وقد بلغ متوسط ما كان يخصى بأسيوط مائة وخمسين خصياً فى السنة ، وكان ثمن الخصى بأسيوط فى هذا العهد ألف قرش

ويقول بورخهاردت إنه فى سنة ١٨١١ أمر محمد على باشا أن يخصى مائتا عبد دارفورى ليرسلهم هدية سنية إلى السلطان الأعظم بالأستانة . وقد روى أن الخصيان البيض قليلون بتركيا ، وأنه رأى بالحجاز عدداً من الخصيان الهنود خصوا فى بلاد الهند وأرسلوا هدية إلى الحجاز

وقد رجع بعض العرب إبان الحرب الوهابيــة الأولى إلى عادتهم فى الجاهلية وهى خصاء الأسرى ، وذلك أن الشريف غالب أمير مكة أسر أربعين رجلا من قبيلة عنية وهى قبيلة تدين بالمذهب الوهابى ، وكان فى حرب معهم فأمر بأن يخصوا ثم يفك أسرهم فماتوا من جراء ذلك سوى اثنين رجعا إلى قبيلتهما بعد أن التأمت جراحهما ؛ وقد امتلأ قلباهما بالحقد والضغينة فقتل أحدهما ابن عم الشريف غالب فى إحدى المعارك ، وأما الآخر فقتل وهو يحاول اقتحام خيل الشريف ليقتله بنفسه

وينجم عن الخصاء أن يبطل فعل الغدد الجنسية وخاصة إفرازاتها الداخلية التى لها تأثير كبير فى التوازن الفسيولوجى والجنسى ؛ ويكون التأثير على أشده فى الصغار ويقل كلما كبر سن من يراد خصاؤه ، فينمو الصبى المخصى كالأنثى فلا ينبت شعر وجهه ، ويكون صوته رفيعاً وعظامه كعظام النساء وعضلاته لينة ويتضخم عجزه ، ويصبح أكثر ميلاً إلى الدس والايقاع . ويكون التأثير فى البالغ أقل ظهوراً فيضعف شعر الذقن أو قد يختفى ، ويتغير الصوت . ويتعرض الرجل بعد الخصى لاضطرابات

عصبية شديدة ولأفكار سوداوية تنشأ عن جمود العاطفة الجنسية ، أما إن خصى الرجل وهو كهل فالتغير لا يكون ملموساً

وقد يتسرب إلى الذهن أن الخصاء يضعف من حدة العقل والشجاعة وهــذا خطأ محض ، ففي التاريخ أدلة تثبت ما كان للخصيان من القوة والبأس والتبحر في العلوم وعلو الباع في سياسة الأمم وقيادة الجيوش . فمن الخصيان الذين خلد التاريخ أسماءهم باغوص الفارسي الملقب بصانع الملوك ، وفافورينوس الفيلسوف صديق بلوطارخ ، وأرسطو نيقوس القائد البطليموسي ، وفوطين وزير بطليموس ، وأيوتروب وزير اركاديوس

وكان للخصيان شأن عظيم في عهود كثيرة من التاريخ الاسلامي وخاصة عصر فكان أظهرهم الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدي الذي انتزع الملك لنفسه وخطب باسمه على المنابر ، ثم الطواشي محسن الصالحي ، والطواشي صبيح في آخر عهد الدولة الأيوبية . وقد أشار اليهما المرحوم ميخائيل بك شاروبيم في كتابه (الكافي) عند كلامه عن أسر المصريين لملك فرنسا فقال إنه لما اشتد الأمر على الفرنسيس وقلت عندهم الأقوات وصعب لذلك عليهم المقام قبالة المسلمين رحلوا يريدون دمياط فاقتفى المسلمون أثرهم فانحاز الملك لويز بمن معه من الملوك والأمراء إلى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي محسن الصالحي ثم غدر بهم وأحضرهم أسرى إلى المنصورة فقيد الملك لويز وجعله في دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان وآثارها لا تزال باقيــة إلى الآن وقد تهدم أكثرها ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ، وفي ذلك يقول الشاعر مهدداً الفرنسيس :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

وليس أمر خليل أغا وما كان له من السطوة في عهد اسماعيل عنا ببعيد .

مأمون عبد السلام

قصــــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واحد سمّاها الفرنسي ، وكاشف ترياقها الألماني

ومضت أربع سنوات تحققت بعدها نبوءة لفلار ، وبم تحققت ؟ بتجربة تظهر لك غاية في السخافة ، والحقيقة التي لا شبهة فيها أنها تجربة أوغلت في الخيال وتفانينه بقدر ما بعدت عن دائرة الحقيقة واليقين . تجربة ما كان يحسب حاسب إلا أنها تنتهي بقتل الخنزير الغيني الذي استُخدم فيها غرقاً ؛ ولم تكن هذه التجربة بدعاً في الذي أوحاه هذا العصر من تجارب ، فبحث المكروب في باريس كان عندئذ على أشده حدّة وعنفاً ، يصدر عن قلوب هائجة محمومة لا عن عقول هادئة باردة ، ففي هذا العصر كان بستور خائر القوى ، منهدم الكيان ، بعد نُصرته التي كانت من كشفه فكسين الكَلَب ، فقنع بأن يشرف في ضعفه على بناء المعهد ذي المليون فرنك الذي كان يقام في شارع ديتو Rue Dutot(1) وكان في باريس في هذه الفترة متشنيكوف Metchnikoff (2) ، وكان رجلا جموحا احترف البحث في المكروب فسلك فيــه سبيلا وسطاً بين العلم والشعوذة ، وكان جاء باريس من أوديسا الروسية ليجشأ فيها بنظريات غريبة تتحدث عن بلع كرات الدم البيضاء للجراثيم ؛ وأخذ في هذا العصر أشياع بستور يحزمون جهازهم في عيابهم ويسافرون إلى سيجون Saigon في الهند الصينية وإلى أستراليا ، يقصدون إلى كشف مكروبات لأدواء عجيبة لم يكن لها وجود أبداً . وفزعت أمهات كثيرات إلى بستور ، والأمل يملأ قلوبهن ، يرجونه في كتب لا عدّ لها أن يُنجي أولادهن من أمراض

(١) يقصد معهد بستور

(٢) أحد بحاث المكروب المعروفين وستأتي ترجمته

شنيعة عديدة ، ولـكن بستور كان رجلا مجهودا منهوكا

كتبت اليه احداهن تقول : « إنك لو شئت لوجدت دواء لهذا الداء اللعين الذى يدعى بالدفتريا ، انك لو فعلت لأعطيت الحياة لأطفالنا وكان لك ثواب ذلك ، اننا نذكرك لهم ، ونحفّظ اسمك إياهم بأنك رب خير للانسانية كبير عميم

ولـكن بستور كان قدغاض معينه ، فلم يبق فيه إلا ذَماء ، فقام عنه رو يحاول محو الدفتريا من على ظهر الأرض ، وأعانه فى هذا يرسين Yersin ، وهو رجل لا يهاب الموت ، كان من نصيبه بعد ذلك أن اكتشف جرثومة الموت الأسود فنال بها مجـداً كبيرا ، ولم يكن الذى أتاه رو من ذلك علما ، إنما كان جهادا وحربا . كانت تحدوه عاطفة قوية فاقتحم السُّبُل الى غايته اقتحاما ، فـلم يتريّث كما يتريث المـكتشفون لاختطاط الخطة ومصابرة الفرصة فى دهاء وافتنان . ولست أقول إن (رو) بدأ بحثه من أجل هذا الـكتاب الذى كتبته تلك البائسة تسترحم فيه بستور ، ولـكنى أريد أن أقرر أن رو بدأ بحثه وأكبرُ همِّه تخليص الأرواح لا عـلم الحقائق ، فهذا البيت فى شارع ديتو ما كان يضم إلا رجالا انسانيين همُّهم خلاص البشرية وتخفيف ويلاتها ، يستوى فى ذلك ربّه الشيخ الشلول ، وغاسل القنانى الخامل الحقير . كلهم كانوا يعملون لخلاص الناس ، وهـذا طيب جميل ، ولـكنهم حادوا من أجله أحيانا عن السبيل الذى الذى لا بد من سلوكه لبلوغ الحقيقة . . . . ومع هذا ، وبرغم هذا ، فقد كشف رو كشفاً رائعاً مجيداً

كانت الدفتريا تفتـك بباريس فتكاً ذريعاً . فذهب رو ويرسين الى مستشفى الأطفال فوجدا هناك نفس البشـلة التى كان وجدها لُفلار . فربّوها فى حساء بقارورة ، وترسّما الخُطى المعروفة ، فحقنا مقادير كبيرة من هذا الحساء فى كثير من طيور وحيوانات منحوسة الطالع فماتت ضحية العلم ، دون أن تعلم عما فحّصت ، فترضى وتطيب نفساً عن نصيبها . ولم يكن هذا الذى بدءا فيـه بحثاً كثير النفع كثير الانتاج مستنيراً ، ولـكنهما لم يلبثا أن وقعا وشيكا على الدليل الذى أعوز لُفلارَ ، فإن الحساء شلّ الأرانب . ذهب مفعوله فى أوردتها فلم تمض إلا أيام قلائل حتى سارت تجر أرجلها الخلفية وراءها عرجا . فسر أصحاب التجربة سروراً كبيراً . وزحف الشلل إلى أجسامها حتى بلغ أكتافها وأرجلها الأمامية ثم ماتت فى شللها وبللها ولزاجتها شرَّ ميتة

قال رو وقد ملأته رغبة شـديدة فى الايمان بالذى يقول : « إن هذه البشلة تقتل الأرانب على نحو ما تقتل الأطفال . . . . لابد إذن أنها هى سبب الدفتريا الذى لاشك فيه ، ولابد أنى واجد الآن هذه الجرثومة فى هذه الأرانب . واستخرج عدداً كبيراً من الأنسجة من كل ركن من بضعة جثث من هذه الأرانب ، واستخرج أطحلتها وقلوبها ، وزرع منها زَريعات كثيرة ، ولـكنه لم يجد بها بشلة واحدة . انها أيام قلائل فقط مضت منذ حقن بلايين من البشلات فى كل أرنب منها . ولـكن ها هى ذى ملقاة أمامه ، قد انتزع أحشاءها ، وقطّع أوصالها ، وفتّش فيها مبتدئاً بأنوفها الحمراء منتهياً بما تحت ذيولها البيضاء ، ولكنه لم يعثر بها على بشلة واحدة . إذن فما الذى قتلها ؟ ؟

فجاءت نبوءة لُفـلار تمر سريعة كالبرق بخاطره . فتفكّر وقال : « لابد أن هـذه البشلات تصنع سماً وهى فى الحساء ، ولابد أن هذا السم هو الذى يَشلّ ويقتل

وانبعثت فيه روح البحث الصحيح ، روح المعرفة للمعرفة ، فنسى الأطفال وبلواهم ، وأكبّ على الخنازير الغينية والأرانب يُثخنها قتلا وجزرا ، فقد وجب عليه أن يثبت أن هذه البشلات تعصر سماً من أجسامها الدّقاق

وبدأ هو ويرسين يدوران يتحسسان فى الظلام عن تجارب تهديهم إلى إثبات ما يبغيان إثباته . وطال تحسسهما ، وبعدت طرائقهما عن طرائق العلم . ولهما العذر فى ذلك ، فلم يكن لديهما فى هذا الباب طرائق معروفة ، ولم يكن سبقهما فيه سابق فيترسمون خطاه على هدى وبصيرة . ولم يسمع أحد قبلهما بأن باحثاً فصل سماً من أجسام المـكروبات ، إلا بستور فقدكان حاول شيئاً لم يستتمه من هذا . كانا وحدهما فى ظلمة هـذه الجهالة . ولـكنهما استطاعا أن يقدحا عود كبريت . . . قالا : « إن البشلة لابد تصب سمّها فى الحساء ، كما تصب سمّها فى دم الطفل وهى مقيمة على غشاء حلقه » . بالطبع هما لم يثبتا هذا

ووقف رو حجاجه النظرى ، وسئم الدوران منه فى دائرة

لا تنتهي، واعتزم حل المُشكل في المعمل بيديه. وجد أن التلمّس في هذا السّماء لا يجديه نفعا. وجد أنه كرجل اختل محرّك سيارته فتعطلت، فأراد أن يصلحه وهو لا يدري من عمل المحركات شيئاً. فكان الأولى به أن يتعلم كيف تعمل المحرّكات أولا. فقام الى قارورات من الزجاج كبيرة، ووضع فيها أحسية خالية من المكروب طاهرة، ثم بذر فيها بشلات نقية من الدفتيريا، ثم أودعها في الدافىء لتربىّ. فلما بقيت فيها أربعة أيام وتم نضجها قال رو: « والآن فعلينا فصل الحساء من المكروب ». وجهّز الاثنان لذلك جهازا غريبا، مُرشِّحاً له شكل الشمعة الا أنه أجوف، صنعاه من مادة صينية دقيقة اكتنزت حباتها وضاقت مسامّها فأذنت بنفاذ الحساء ورفضت فوات المكروب فيها. ونصبا هذه الشمعات الجوفاء في مخابير من الزجاج لامعة صقيلة، وقاما بصبان الأحسية فيها على حذر شديد مخافة أن يصيبهما رشاش قاتل منها، ولكنها أبت أن تنفذ من الشموع الى المخابير، وأخيراً استطاعا أن يُنفذاها بهواء مضغوط ضغطا شديدا، فلما تم لهما ذلك تنفسا الصُّعَداء وهما يصفّقان على المنضدة، ذلك الراشح الرائق قد تراءى في قواريره الصغيرة أصفر كالكهرمان (١) ولم تكن به جرثومة واحدة

وغمّ رو لنفسه: « هذا السائل لا شك يحتوى السم. نعم لقد حبست الشموع ما كان به من جراثيم، ولكنه مع هذا لابد أنه يقتل الحيوانات، وهرج المعمل ومرج بالساعدين وهم يحضرون الخنازير والأرانب، فلما حضرت ذهبت إبر الحاقن في بطونها بهذا السائل الذهبي، ضربتها فيها يد رو، وهي يد خفيفة بارعة

وانقلب رو فصار فتاكا سفاحاً، وملأ قلبه حب القتل، فلم يجيء إلى معمله يوماً إلا وفي نفسه رغبة كرغبة المجنون أن يجد حيواناته قتيلة صريعة. وكأني بك تسمعه يصيح الى يرسين: « إن السم لا بد فاعل فعله الآن فيها، لا بد أنه ضارب بنابه الآن في مقاتلها »، ثم هما ينظران معاً فلا يجدان ما يشفي غليلهما ويؤمن على نبوءتهما، فلا الشعور انتفشت، ولا الأرجل الخلفية شلت فتجرجرت، ولا الأجسام ارتعشت وانتفضت

كان وقع ذلك شديداً عليهما. بعد كل هذا التعب، وكل هذا التجريب والتفنين في دقة وحذر، تظل هذه الحيوانات تقرض بقولها في أقفاصها قرضاً، وتثب فيها وثبا، وتتغازل ذكورها وإناثها وتتهارش هذا الهراش السخيف الذي لابد منه لايجاد النسل وتواصل الجنس ... إنها تملأ أمعدتها وتشبع شهوتها ولا تأبه لشيء. أما هؤلاء الأناسيّ المردة الطوال الذين أحسنوا غذاءها هذا الاحسان فليحقنوا في أوردتها أو في بطونها من ذلك الحساء ما شاءوا. أيدعونه سما؟ لقد طال بهم الخيال، وكذب الخال. إن يكن سما فهو لا يزيدها إلا هناءة وطيب حال

وحاول رو مرة أخرى لحقن مقادير أكبر من حسائه في طائفة حيواناته، ثم في أخرى، ثم في أخرى، ولكن من غير جدوى. لم يكن في الحساء سم

لو أن رو رجل عاقل عادي لكفاه الذي جرى، واقتنع بأن الحساء الذي أودعه الدفأ أياماً ثم رشحه لم يكن به سم قط. ألم يكفه هذا العدد العديد من الحيوانات التي ضاعت سدى؟ ولكن رو — ولتحمده الأمهات والأطفال المساكين، ولْترعهُ الملائكة التي تحفظ البحاث المجانين — ولكن رو كان في تلك الساعة مجنونا. أصابه مس كالذي كان يصيب أستاذه بستور فيجعله يرى الصواب في الذي يراه الناس أجمع خطأ، ويقدح ذهنه فتخرج منه التجربة المستحيلة الناجحة. كأني بك تسمع هذا الرجل الملول ذا وجه الصقر يصيح لنفسه: « هنا، في هذا الحساء سم لا محالة ». وكأني بك تراه يدور في معمله يصيح هذه الصيحة إلى القوارير المصففة على الأرفف الترِبة، وإلى الأرانب والخنازير الغبية، وهي لو استطاعت لضحكت من هذا المجهود الخائب الذي بذله ويبذله رجاء قتلها. « لابد من سم في هذا الحساء الذي نمت فيه بشلات الدفتريا، وإلا فكيف ماتت الأرانب إذن؟ »

وأخيراً، بعد أن قضى الأسابيع يحقن أحسيته في الحيوانات ويزيد مقدار ما يحقن فيها كل مرة، أخيراً عزم على أن يحقن في الخنزير ثلاثين مقداراً من الحساء دفعة واحدة، ففعل وكاد يغرق الخنزير بحسائه. كان مثله في ذلك مثل المقامر الذي سئم الخسارة، فلما يئس جازف فوضع على الرقعة كل ماله. حتى بستور ما كان ليجسر هذه الجسارة فيحقن الخنزير الغبي الصغير تحت جلده بخمسة وثلاثين سنتيمتراً من الحساء كما فعل

(١) أو إن شئت فالكهرباء.

رو . أل هذا المقدار لو أنه ماء نقي ما يقتل الخنزير بمجرد
- وهو إذا مات فأي نتيجة تستخرج من هذا من وجود
سم في الحساء . . . . ولكن رو لم يأبه لذلك ، فدفع بهذا
المقدار من الحساء وهو كالبحر في بطن الخنزير . ودفع بمقدار
مثله في وريد بأذن أرنب ، فكان كمن صب جردل ماء في أوردة
إنسان متوسط الجرم

ولكن بهذا الأسلوب الغريب كتب رو اسمه في لوحة المجد ، فعلى الناس أن يخلدوها على الدهر ويحفظوها من البلى ما بقي على ظهر هذه البسيطة إنسي . احتمل الأرنب والخنزير تلك الشربة الهائلة وصمدا لجرمها الكبير ، وهنئا بالسلامة ونعما بالعيش يوماً أو يومين بعد هذا ، ولكن لم يمض على ذلك غير ثمان وأربعين ساعة حتى انتصب شعرها على ظهريهما ، وأخذا يتنفسان اختلاجا . وماتا بعد خمسة أيام ، وظهرت عليهما نفس الأعراض التي ظهرت على الحيوانات الأخرى التي ماتت عقب حقنها بمكروب الدفتريا نفسه لا بحسائه المرشح . وبهذا اكتشف رو سم الدفتريا . . .

لو أن الأمر اقتصر على هذه التجربة ، وما تضمنته من جرعة هائلة من حساء ضعيف السم ، إذن لضحك قناص المكروب منها ومن صاحبها رو ، ولتخذوا منها فكاهة فاحشة : «إن تكن قارورة كبيرة من مكروب الدفتريا لا تخرج إلا هذا السم القليل حتى ليحتاج إلى أكثر هذه القارورة لقتل خنزير غيني صغير ، فأنى لبشلات قليلة تحل في زور الطفل أن تصنع من هذا السم ما يكفي للقضاء على جرمه الكبير ! هذا حمق أي حمق ! »

ومع هذا فرو حلّ بذلك العقدة الأولى . وبهذه التجربة السخيفة قدح أول قدحة وأطار أول شرر شع في ظلمة الطريق نعرف به إلى أي ناحية يتجه وعلى أي جنبيه يميل . فأخذ يتحسس طريقه بين الأحراج ويشق سبيله بين الأدغال بطائفة من التجارب الدقيقة حتى انفتح له السبيل بغتة عن أرض عراء فعرف مكانه واستوثق مما هو فيه . واستغرق في ذلك شه عرف بعدها السبب في ضعف السم بحسائه . واتضح له أن يكن ترك الحساء ببشلاته في المدفأ مدة كافية ، فلم تتم البشلات من العمل فلم تصنع من السم ما تعودت أن تصنعه وعلى هذا صنع حساء جديداً ووضع فيه بشلات جديدة أود المدفأ وأبقاها هناك في حرارة الجسم مدة اثنين وأرب يوماً . فلما أخرجها أخرج سماً كأقوى ما تكون السموم وحقن القليل منــــه في حيواناته فصنع بها ما لا يُصنع وأخذ في تقليل مقدار ما يحقن فيها عسى أن يقال فتكه ب الحيوانات ولكنه حاول عبثاً ، وظل ينظر بعين واسعة وقل مغتبط تياه إلى القطرات القليلة من هذا السم تذهب بالأران وتقتل الشياه وتلقي بالكلاب صريعة . ثم أخذ يتباهى بهذا السا الفتاك ، فجففه ، وأراد دراسة كيميائه فأخفق . ثم ركزه تركي كبيراً ، ووزن ما ركز ، ثم عكف يجري عمليات حسابية طو

فوجد أن الأوقية منه تقتل ٦٠٠٠٠٠ خنزير غيني أو ٧٥٠٠٠ كلب كبير . ووجد أن الخنزير الغيني الذي يناله من هذا السم جزء من ٦٠٠٠٠٠ جزء من الأوقية تتحول أنسج جسمه فتكون كأنسجة جسم الطفل الذي يموت بالدفتريا

هكذا أول رو حلم لفلار وحقق نبوءته ! وعلى هذا النح كشف عن رسول الموت السائل الذي يتحلب من أجسا هذه البشلات الصغيرة الحقيرة كشف رو لنا عن الطريقة التي تقتل بها هذه البشلات الأطفال ، ولكنه لم يكشف لنا عن طريقة ندفع بها شرها ، والكتاب الذي بعثته تلك الأم البائسة لبستور تسأل فيه دواء لهذا الداء بقي على الكتب لا يجد له جواباً ، ومع هذا فعمل رو بلغ أمره الأطباء فتعلموا كيف يربون تلك البشلات من حلوق المرضى من الأطفال ، وأثمر عدة اقتراحات بغرغرات نافعة يغسلون حلوقهم بها ، ولكن رو لم يكن له صبر بستور ولا حيلته

أحمد زكي

في العدد القادم : بارنج يكتشف ترياق الدفتريا

نشأة مقاييس الذكاء

للأستاذ على محمد فهمى

مدرس التربية التجريبية المساعد بمعهد التربية للبنين

ليس علم النفس بالعلم الحديث ، بل هو قديم من أيام وسطاطاليس ، ولكنه لم يشمر إلا فى القرن العشرين ومن ثم سار علماء علم النفس يبحثون بجد فى العقل وكنهه ، وفى الذكاء وأصله ، فاستفادت التربية من قياس ذكاء الأطفال . وقد تعدت الأبحاث فى محاولة قياس الذكاء عدة مراحل أهمها أربع :

المرحلة الأولى

فى هذه المرحلة لاحظ الباحثون بادئ الأمر أن هناك تباينا بين الأفراد فى الفهم والتفكير والتذكر والقدرة على التعلم وان هـذا التفاوت يختلف باختلاف الجنس والعمر والبيئة ، وكانت الجهود كلها موجهة إلى محاولة تعيين مقدرة المرء العقلية بواسطة شكل جسمه وخاصة الرأس والعاهات الخلقية التى فى الانسان ، فأول ما نشأت فكرة إيجاد مقاييس الذكاء كانت عبارة عن مجرد فحص الحالة الجسمية

وكان أول من تناولها بالبحث والكتابة فيها الأستاذ لافاتير Lavater سنة ١٧٧٢ فقد نشر فى هـذه السنة بحثا عن معرفة صفات الانسان العقلية والنفسية من ملامح الوجه

ثم نشر جول Gall صاحب نظرية الجمجمة كتابا عن معرفة صفات الناس من أشكال رءوسهم وقياس عظامهم الجمجمية فعمل خريطة للعقل وقسمه إلى ملكات وكانت الملكة تكبر أو تصغر بحسب قوتها وضعفها ويسمى هـذا العلم بعلم الفراسة Phrenology

ثم تبعه فى بحثه الدكتور بل سنة ١٨٠٦ ثم داروين سنة ١٨٧٢ وكانا يعتبران أن صفات الشخص العقلية تعرف من حالة عضلاته ، فالخائف مثلا تظهر عليه علامات كأن تفتح عيناه وترتعش ركبتاه وغير ذلك من علامات الخوف ؛ فاذا كان الخوف مستمراً فانه يترك فى وجه الشخص طابعا يدل عليه ، ولكن ثبت خطأ هذه النظرية إذ قد توجد علامات مشتركة بين حالات مختلفة فلا يمكن مثلا التمييز بين علامات الضحك من السرور وعلامات الضحك من الاستغراب والاستهزاء

قام بعد ذلك الأستاذ لمبروزو Lombroso الاخصائى فى علم الأجرام بمباحثه وأتى بفكرة جديدة وهى الحكم على صفات الناس العقلية والنفسية من العلامات التشريحية Anatomical Stigma فهو يقول بأن هناك وصمات Stigma وتشويهات معينة فى الجسم يدل وجودها فيه على ميل فطرى للاجرام ، فمثلا كبر الرأس وشكله وعدم مساواة نصفيه وعرض الجبهة وضيقها والأنف المريض والمقلوب والمفرطح وسقف الحلق الضيق والمرتفع - ويكون عادة على شكل ٨ - والآذان عديمة الحلمة والمشوهة والكبيرة الحجم ، كل هذه العلامات أو العاهات كما يقول الأستاذ لومبروزو هى علامات صحيحة للاجرام موجودة مع الطفل من يوم ولادته . وعلى ذلك فهو يرى أن الشذوذ فى الخلقة يرجع إلى شذوذ فى النفس والعقل . وقد نشرت ملاحظات هذا العالم وتجاربه هو ومساعدوه فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولكن على توالى الزمن اقتنع العلماء بأن الحكم على العقل أو النفس بمجرد مشاهدة الخلقة حكم لا قيمة له بل يجب اختبار الصفات العقلية والنفسية باختبارات عقلية سيكولوجية

هدأت الأفكار بعد ذلك نوعا ما وتحولت من نظرية لمبروزو وعلاقتها بالاجرام : هنالك نشط الباحثون واستنفدوا جهدهم فى البحث فوصلوا إلى أن كبر حجم الجمجمة دليل على كبر حجم المخ ، وكبر حجم المخ دليل على الذكاء والعكس ، غير أنه فاتهم للأسف أن الذكاء لا يقدر بكبر حجم المخ ولا بصغره وإنما يقدر بسمك المادة السنجابية وكثرة تلافيف المخ الخ . وقد نشط الأستاذ بيرسون فى بحث هذا الرأى فأجرى تجاربه على ٥٠٠ طالب من جامعة كولومبيا بأمريكا فوجد أن العلاقة بين حجم المخ والذكاء تكاد تكون معدومة

المرحلة الثانية

بعد ذلك ظهرت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر ثلاث حركات علمية مهدت السبيل لظهور المقاييس العقلية وهى :

أولا : ظهور علم النفس التجريبى فى ألمانيا على يد ويبر Weber

الذي ا... سة الاحساسات وحاول أن يطبق عليها روح ... سع عشر وهي الروح العلمية التجريبية ، وتبعه عالم ألمانى ... خر Fechner ثم تبعهما سلسلة علماء حتى جاء وند Wundt وأنشأ أول معمل لعلم النفس فى ليبزج سنة ١٨٧٩ ، وكان متجهاً لدراسة الاحساسات لوجود فلسفة الترابط فى انجلترا Association فى ذلك الوقت ، وفلسفة الترابط هذه تقول إن أصل كل حياة فكرية هى الاحساسات ، وإذن فالاحساسات هى أساس نشوء الحياة العقلية ، ولذلك عمد وند Wundt لدراسة زمن الرجع Reaction وهو الزمن الذى ينقضى بين وصول المؤثر وبين حصول الرد عليه ، لأنه دليل على سرعة العمليات العقلية ، وكان يساعده فى أبحاثه الأمريكى كاتل Cattell الذى لاحظ أن الأشخاص يختلف بعضهم عن بعض فى زمن الرجع ، وكانت أبحاثه ضد رغبة استاذه وإن كانت تعتبر الآن من الينابيع التى غذت المقاييس العقلية

ثانياً : دراسة الوراثة فى انجلترا : وأول من بدأ بدراستها هو فرنسيس جالتون Francis Galton وهو أحد أقارب داروين واشترك معه فى أبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، ولكن داروين كان كل همه دراسة وراثة الانسان من وجهة الجسم فقط فاهتم جالتون بدراسة وراثة الصفات العقلية ، وقد نشر سنة ١٨٨٣ كتابه « أبحاث فى القوى العقلية » وبه عدة أبحاث خاصة بالخيال ومحاولات بسيطة لقياس الصفات العقلية ، ثم فتح فى لندن معملا للقياس العقلى والجسمى ، وسماها مقاييس انتروبولوجية (خاصة بدراسة البشر)

على أن بحث السير جالتون هذا وإن كان خلوا من الملاحظات والنتائج إلا أنه يعد أول عالم فكر فى موضوع الذكاء وقياسه

ثالثاً : حركة علم النفس العلمى فى فرنسا : أخذ علم النفس يتجه اتجاها عمليا فى فرنسا وذلك لأن الفرنسيين مهتمون بالطب ، ولأن علم النفس يتصل بالطب اتصالا تاما ، ومن الموضوعات التى كان لها أثر فى القياس العقلى ظهور مسألة قياس ضعفاء العقول Mental defectives فأخذ الناس فى القرن الثامن عشر يهتمون بهم ويتفهمون حالتهم ويحاولون علاجهم . ساعد على ذلك عثور صياد فى غابة Caune بفرنسا فى يوم على طفل فى حالة همجية ، فأخذه إلى باريس وفحصه الأطباء وعهدوا بتربيته إلى فيلسوف طبيب اسمه إتار Itard وكان طبيبا فى معهد الصم والبكم ، فجرب على الطفل الطرق الحسية ليرى تأثيرها على تعليمه وتحوله من الهمجية ، وبعد مضى مدة وجد أن التقدم فى حالة الطفل بطىء فأرسله إلى معهد خيرى ، حيث كان يشتغل طبيب اسمه سيجان Séguin وكان تلميذاً لأتار Itard فلم ييأس هذا من استعمال الطرق الحسية مع الولد حتى نجحت وتقدم الولد تقدما ملموسا

ذلك الى إنشاء مدرسة لتربية ضعفاء العقول على طريقة Séguin وشاع استعمال هذه المدارس ثم جدت مشكلة الحكم على عقل الطفل فحمل ذلك وزارة المعارف فى فرنسا على انشاء لجنة لدراسة هذه المشكلة ، وكان من بين أعضائها بينيه Binet الذى عمل أول مقياس عملى للذكاء سنة ١٩٠٤

المرحلة الثالثة

ذكرنا أن كاتل كان يبحث مع وند فى ألمانيا وزار جالتون فى لندن ، ولما عاد إلى أمريكا عين مدرساً لعلم النفس فنشر سنة ١٨٩٠ برنامجاً للقياس العقلى اقترح فيه أن تطبق مقاييس خاصة على طلبة مدرسته ، وكانت المقاييس بسيطة تقاس بها القوى الحركية والتمييز الحسى ومظاهر أولية للذاكرة والحكم

نشر كاتل هذه الاختبارات فى مجلة انكليزية ذيلها جالتون بالتعضيد ثم نشرها فى أوربا وأمريكا وطبقها علماء النفس حتى أنه فى سنة ١٨٩٦ استأجر جاسترو Jastrow مكانا فى معرض شيكاغو وأخذ يختبر ذكاء الأشخاص نظير أجر ، ثم أخذ كاتل فى تطبيق هذه الاختبارات على الطلبة فى جامعة كولومبيا نشرت نتائجها سنة ١٩٠١ وقارن جلبرت Gilbart نتائج هذه الاختبارات التى عملت على الطلبة بنتائج حكم المدرسين على الطلبة أنفسهم ، فوجد أن الاتفاق بين الاثنين ضعيف جدا

ومن ذلك نرى أن هذه المقاييس لم تكن مضبوطة ، ولم تدل على الذكاء تماما ، لأنها تقيس قوى فردية ليس بينها وبين القوة العقلية العامة علاقة متينة ، وقد أدى هذا النقص الى التحول من هذه المقاييس وأصبحت جامعة كولومبيا تحت رئاسة Thorndike مركزا للبحث فى هذه المقاييس ، وبالتدريج تغلبت الروح العلمية فأخذ علم النفس صبغة طبية فى فرنسا ، وابتدأ

…ـسيون يهتمون بقياس العمليات العقلية ذات الأهمية الظاهرة … الحياة ، وفى سنة ١٨٩٦ ظهر مقال للعلامة بينيه فى مجلة …ـنة النفسانية التى اتخذها مسرحا لنشر أبحاثه المختلفة ، وكان …ـر الجزء الأعظم منها بنفسه باذلا فى ذلك مجهودا كبيرا ومهتماً … البداية بمسألة الذكاء وقياسه معالجا إياها من نواح عدة ، …ـد لخص بينيه الأبحاث التى عملت قبل ذلك وحمل على … اختبارات الموجودة حملة شديدة إذ كانت تقيس قوى عقلية …ـيطة ليست مهمة فى الحياة ، فكانت حسية وحركية ، ولكن …ـاس لا يتميزون فى الذكاء بقوة الاحساس والحركة وإنما يتميزون …ـوة الحكم والخيال والذاكرة . وذكر بينيه أيضا فى مقاله أنه …ـد لقياس الذكاء من ترك المقاييس القديمة والبحث عن أخرى …ـياس القوى العقلية العليا ، فكان لهذا المقال أثر كبير نقل مقاييس الذكاء من نظريات الى معامل ، وأبطل استعمال الأجهزة الحاسية التى كانت تستعمل ، ومن ذلك الحين تدفقت الاختبارات العقلية التى قام بها فريق كبير من العلماء ، على أننا لا يمكننا تتبع كل هذه الاختبارات وإنما نتكلم على أهمها وهو اختبار بينيه

ولد الفرد بينيه بمدينة نيس من أعمال فرنسا سنة ١٨٥٧ وحصل على أجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ ثم عكف على دراسة الطب وتتلمذ للعالمين المشهورين وقتئذ فيريه Feré وشاركوه Charcot ولا سيما الثانى منهما فقد بث فيه روح الاهتمام بدراسة نفسيات الشواذ من الناس . ثم تعاون بينيه مع آخرين على إنشاء معمل للأبحاث النفسية فى السربون ثم أصبح هو مديراً لهذا المعمل وكان أحد أعضاء اللجنة التى شكلتها وزارة المعارف الفرنسية لاختيار ضعاف العقول فطلب له أن يدعم عمله فى هذه اللجنة ببحث قيم يتخذ أساساً وعوناً لبقية البحوث فى المستقبل ؛ وبدأ عمله بالبحث فى ماهية ضعف العقل ، ومن هو ضعيف العقل من الأولاد الذى يحتاج الى تعليم خاص ، وقد خصص جهوده كلها ومواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلا لا يقل عن سبع سنوات وفق فيها إلى غرضه وأخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً ، وظهرت له سلسلة أبحاث فى المقاييس العقلية . وقد رأى أن الانتباه الارادى والذكاء مرتبطان لدرجة أنه يمكن اتخاذ مقاييس الانتباه دليلا على الذكاء فوضع اختبارات عديدة منها زمن الرجع وإعادة بعض أعداد والسرعة فى عد دقات الكرونومتر .

وقام عالم ألمانى آخر اسمه ايبنجهوس Ebbinghaus سنة ١٨٩٧ وعمل اختباراً سماه طريقة التركيب Combination Method ويسمى الآن طريقة التكميل فدلت الاختبارات التكميلية على أنها من أحسن الاختبارات الذكاء ، والأساس الذى بنى عليه هو اعتقاده أن الذكاء لا يتجلى فى إدراك المؤثرات متفرقة وإنما يتجلى فى ضم المؤثرات بعضها إلى بعض لتركيب وحدة كلية ، ففى الجملة الواحدة مثلا لا يتجلى الذكاء فى فهم كل كلمة على حدة بل فى فهم الجملة كلها وهى فكرة وجيهة جداً ، وقد استمر البحث حتى سنة ١٩٠٥ حين ظهر أول مقياس كامل للذكاء من عمل بينيه Binet ومساعده سيمون ثم عدلاه فى سنة ١٩٠٨ وفى سنة ١٩١١ وترجم مقياس سنة ١٩٠٨ إلى لغات عدة فأحدث أثراً كبيراً فى العالم وجرب فى بلاد كثيرة وقد سخر بعض الناس من مقياس بينيه وقالوا إنه ليس له فائدة عملية ، ولكن أكثر العلماء رأوا فائدته وكان بينيه مشبعاً بالروح العلمية الحديثة ، وظل يدخل إصلاحات عدة فى مقياسه ومات سنة ١٩١٢

وقد كان من نتيجة تجربة مقياس بينيه فى بلاد كثيرة أن ظهرت الحاجة إلى تعديله بما يلائم حالة كل بلد منها ، ولذلك ظهرت له تنقيحات عديدة منها خمسة أو ستة فى أمريكا وتعديل أو اثنان فى ألمانيا وانجلترا ، وأهم هذه التنقيحات تنقيح الأستاذ تيرمان Terman الأمريكى وكان أستاذاً بجامعة استانفورد وسمى التنقيح باسم الجامعة The Stanford Revision of the Binet Simon Tests of Intillegence.

وكان ترمان مهتما بمسألة القياس العقلى حتى قبل ظهور مقياس بينيه ، فقد ألف بحثاً فى العبقرية geniuty والغباوة Stupidity حاول به أن يوجد أسئلة تميز بين الأذكياء والأغبياء وقد نشر أبحاثه هذه فى سنة ١٩٠٦ ولما نشر مقياس بينيه اهتم به اهتماماً كبيراً وابتدأ بمساعدة تشلد Child فى تعديل هذا القياس بأن ضم إليه عدداً من اختباراته وأوجد مقياساً منقحاً ولكن أهم من ذلك أنه أدخل فى تنقيحه فكرة جديدة ليست من عنده ولكنها من عند عالم ألمانى يدعى استرن Stern وهى فكرة نسبة الذكاء ، وقد كان بينيه يعتمد فى مقياسه على تأخر أو تقدم العمر العقلى عن العمر الزمنى ، ولكن التجربة دلت على أن هذه

الطريقة ... دقيقة ، فمثلا إذا فرضنا أن ولداً عمره العقلي ... والزمني ٥ سنوات فان تقدمه العقلي على حساب بينيه ... يكون مماثلا لولد عمره العقلي ١٢ سنة وعمره الزمني ١٠ سنوات

أما استرن Stern فيقول إن ذكاء الأول أكبر من الثاني لأن نسبة الذكاء في الأول أكبر منها في الثاني ، فنسبة ذكاء الأول ٧/٥ = ١,٤ بينما في الثاني ١٢/١٠ = ١,٢ — أخذ ترمان هذه الفكرة نفسها وأضافها إلى مقياسه المنقح إلا أنه ضرب هذه النسبة في ١٠٠ لكي يتلافى الكسور فتكون نسبة ذكاء الأول ١٤٠ والثاني ١٢٠ وقد نقل الأستاذ القباني اختبار ستنفرد بينيه هذا إلى العربية بعد أن أدخل كثيراً من التعديلات الضرورية عليه لجعله ملائماً للبيئة المصرية

المرحلة الرابعة

كل المقاييس التي ذكرت لفظية Verbal وقد اعترض على هذا النوع من المقاييس :—

(١) لأن الطالب الذي تكون ظروف بيئته لا تساعده على التعبير يظلم في هذه البيئة ، ولذا فالتلميذ الذي من وسط اجتماعي راق يكون أذكى من تلميذ من وسط اجتماعي فقير ، لأن الأول يسمع مناقشات ويشترك فيها بينما لا يقابل الثاني من أبيه أو أمه إلا بالزجر والضرب

(٢) وهناك أطفال لا تتوفر عندهم ملكة الكلام أو غير متمكنين من اللغة الموضوع بها الاختبار

(٣) وهناك أطفال من ذوي العاهات كفاقدي السمع والنطق يصعب اختبارهم بهذه المقاييس اللفظية

(٤) في بعض البلاد تختلف اللغة الدارجة التي يتعلمها الطفل عن لغة الاختبار كمصر مثلا

كل ما تقدم أدى الى البحث عن اختبارات أخرى تصلح لهذه الحالات كلها ولذا عملت اختبارات عملية Perfor mance Tests بمعنى أن المطلوب فيها سؤال لا يجاوب عليه باللفظ ، ولكن يكلف المفحوص بالقيام بعمل يعمله أمام المختبر ، ومن أمثلتها لوحة الأشكال Form-Board وبها أشكال مختلفة مجوفة يعطى للطالب أجسام مماثلة لها بحيث يضع كل جسم في الشكل المجوف المماثل له ، وهناك لوحات سهلة التركيب وأخرى صعبة التركيب عكس في مثل هذه اللوحات احتساب عدد تغيير القطع حتى يجد الولد القطعة المطلوبة وحساب الزمن الذي يستغرقه المختبر في أثناء تركيب اللوحة

وهناك نوع آخر من هذه الاختبارات يسمى اختبار التواهات Maze Tests مثل بيت جحا ولكنها مرسومة على ورق فيدخل الطالب من باب ويخرج من آخر

وهناك نوع ثالث وهو لوحة الصور يلصق عليها صور مقطوع منها أجزاء ، وهذه الأجزاء تعطى للتلميذ ويطلب منه تكميل الصورة

كل هذه الاختبارات فردية تعطى لكل فرد على حدة فتطبيقها يحتاج الى وقت كبير ولذا فنحن في حاجة الى اختبارات لا تحتاج الى وقت كبير فاخترعت اختبارات جمعية Group Tests إذ فكر Otis من تلاميذ Terman في عمل اختبار جمعي ، وقام علماء النفس بأمريكا بعمل اختبارات جمعية ، فألفوا مقاييس الجيش ، وأطلقوا على الأول منها مقياس Alpeha وهو من النوع اللفظي على الثاني Beta وهو اختبار عملي جمعي تستعمل فيه الصور ، وقد ارتاح رجال الجيش الى نتيجة هذه الاختبارات فانتشرت من أمريكا الى بقية العالم

علي محمد فهمي

المباراة الأدبية

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

للآنسة فتحية عزمي

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى ثمار الثورة الوطنية المباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩؛ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه، وخلقت روحاً جديداً من التطور في كل مرافقه، فإن مصر هي الأخرى قد جنت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جليا في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة. وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد العتيقة المرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل المخيم والجمود الطويل...

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد «سعد» العظيم في صور الثورة فلبت مع الملبين، وترامت في ميدان الجهاد مع المترامين، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النفاذ خدور العذارى والسيدات إلى حيث النداء والتضحية، وكيف أن المرأة المصرية الحيية الساذجة قد ألقت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل، تشد عضده بمظهرها الحماسي الجريء، وتبعث في نفسه روح البسالة والاقدام، فيسارع الى الموت باسماً لا ينكص ولا يتزعزع، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذياك العام المجيد صفحة فخار ستبقى خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحرية، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال السحيقة يوم تبعت رجالها في الحروب تؤازره وتشجعه وتنشد خلفه أناشيد الحماسة والنصر فيشتد ساعده ويثبت جنانه فلا يتجلجل ولا يتحلحل الا إلى نصر محقق حيث يعود إليها مزهواً بأكاليل الظفر، أو إلى قبر في الفلاة موحش حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود...

فنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك الطفرة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة، وهنا يحق لنا أن نحني الرأس في هذا المقام اجلالا لذكرى زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما ننعم فيه الآن من نهضات عمت مرافقنا الحيوية، ثم نحيي في جثمانه الهامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحي والتضحية الفادحة والعمل الخالد المقيم...

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تسير سيرها الحثيث نحو التقدم المنشود ففتحت أمامها موارد العلم تغترف ما شاءت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضعاها في مستوى زميلتها الغربية، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقا؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة؟؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد بلغ شوطاً بعيداً وخاصة في الأعوام القلائل الأخيرة، فمنا الآن الأديبات والطبيبات والحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة العالية نصيباً وافرا، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم تدريجيا الى الاهمال، فالشؤون المنزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درسا وافيا، كل ذلك أضحى في نظر سيداتنا وخاصة المثقفات منهن شيئا ثانويا أولى منه اتقان أدوات الزينة والجري وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دي سكوذراي علينا: «ان فتاة تدمن النظر الى السماء لا تحسن شيئا على الأرض!!»

«إن النساء أتين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فإنهن يظهرن بمظهر مزعج» كلمة مريرة قالها موليير عن المرأة، وهي وإن كانت تهكما لاذعا كاد صاحبها يخرج بها إلى حد المغالاة، أو جاوزها فعلا، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل. وانه لخليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينيها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أتمها خالصة في سبيل الله والواجب، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة. أما أن

تعنى ... الفرعية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التي فطرت كل شيء لغرض معين وهيأته لرسالة محدودة

في يقيني أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر في شيء واحد وهو : تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن ؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندنا قد قامت على تعليمها فأحرِ بنا أن نستغل هذا التعليم لتمهيد سبل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش ، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما في هذه الكلمة من معنى سام جليل ؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعددنا للوطن أشبالا تغذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى العلم الى سواء السبيل

صدقوني أنا لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة العالية بقدر حاجتنا الى الأم الصالحة أو « المدرسة الأولى » كما نعتها الكتاب والشعراء قديما ، وهاهي ذي البلاد تئن من أقصاها الى أقصاها من كابوس البطالة الذي يجثم على أنفاسها ويزداد هولا يوماً بعد يوم باطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها ، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل ، فماذا يمكن إذاً استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟؟

ليس هنالك سوى رد واحد على هذا السؤال ، هو ما قلته ، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعي المعنوي الذي ذكرت لا الاستثمار المادي كما يمكن أن يفهم من كلمة « الاستثمار » وذلك لأن هذا الاستثمار المادي الأخير نحن في غنى عنه بما لدينا من أيد عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة ، وعدا ذلك فان استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعيا يركز حياتنا العامة ويسيرها في طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار الغرب التي يحملها الينا البريد الأوربي الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئه في قصر تعلم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالغرض الأساسي الذي خلقت له ؛ فهذي الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وها نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضعان في جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى سالف عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال ، ومنع ما أمكن من تعاطي أعمال الرجال . وقد قرأنا للأستاذ محمد كرد ملخصاً لكتاب ظهر أخيراً في فرنسا حول هذا الصدد للدكتور روبرتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : « إن رفعة المرأة بلية صدرت الينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال ، وكان هذا النفوذ المنا... من كل غريب يكفي أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركيب الفرنسي » وقال روبر كيبو : « من السهل الدلالة على أن دعوى ... شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكي فإما نراها نسـ... فيها على أفكار اشتراكية بحتة ، وعلى معان لهم وتعبيرات ، و... كلمات ما برح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كا... ولا تزال مألوفة لهم ، وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فـ... موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه ... نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترى اليه إدخال أدنى إصلاح ... النظام الاجتماعي » وقال الثالث تينار « إن حقوق النساء وتحرير... الأدبي هذا حسن وجميل ، ولكن يا سيداتي حررن أنفسكن أولاً من الخياطة ، فان لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالبن إلى أن تحصلن على ما بقي » وقد استعرض المؤلف في كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلاً دقيقاً عاب عليها عنايتها بثقافتها دون الغرض الرئيسي الذي هيأتها له الطبيعة . من هنا نرى أن أعرق الأمم الغربية في النهضة النسوية قد بدأت تتحسس مدى خطئها في توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يعد بين هاته الدول من أخذتها هذه المدنية الطاغية عن جادة الطريق سوى تركيا الحديثة التي خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم المتمدين سوى هذه الناطة الاجتماعية النسائية فأبت إلا أن تشرب الكأس حتى الثمالة ، وما أشك أنها ستجني ثمرة هذا التقليد الأعمى علقما وصابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا جبلاً عن غرة زلجا

ولنتدبر نحن في المستقبل قبل أن نخطو اليه ، ولنتبين من أي طريق تسوق المدنية الغرور ، ولنستمع صوت الطبيعة المنبعث تصرخ في وجوهنا : لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسرة وتكمل الشطر الثاني من حياة الرجل ، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية ، فلا يخلبنكم بريق المدنية الخادع الكاذب

فتميثوا بنظمي وتقلبوها رأساً على عقب ، لا يصيبكم ما أصاب من قبلكم من المتمنتين المستكبرين ...

* * *

وبعد ... فهذا رأيي في استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام أدلي به راجية أن أكون بذلك قد أرضيت الواجب والضمير ، وإن كنت قد عرضت نفسي للوم البعض من سيداتي المثقفات ممن يرين في الحياة غير رأيي ، ولايفوتني هنا أن أهمس في آذان هؤلاء أنه خير للمرأة من حياة زوجية سعيدة يحفها البنون وترف عليها الهناءة من مجد عريض يكال هامتها ووسام نبيل تحمله . ذلك لأن المرأة خلقت للرجل والرجل خلق للعمل ، وأن مجد المرأة حداد ظاهر على إسعادها كما قالت مدام دي استال ، فلا تغامروا بالمرأة في تجربة قد أدرك العالم المتمدين خطأها ولا تستثمروها في غير ما خلقت له وإلا تكونوا كطالب الماء من الصخر ، أو مستنبت الزرع في المهمه القفر

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار !!

فخرية عزمي

صورة من المجتمع الجزائري

إني أرى في المنام!

للأستاذ محمد سعيد الزاهري

عضو جمعية العلماء الجزائريين

خرج من السوق خائباً مكتئباً ، ملامحه عليها غبرة ترهقها قترة ، تدل على ما يأكل نفسه من الهم القاتل ، والحزن العميق ، يحمل في إحدى يديه « قفة » فارغة لاشيء فيها ، وفي الأخرى « سبحة » غليظة جداً ، وهو يقول بصوت واضح مسموع : « هذا ما يريد لي فلان ، وهذا ما يريد لي فلان . . . » وذكر ناساً بأسمائهم من رجال الاصلاح الاسلامي في الجزائر ، ومضى يردد ما يقول الى مسافة بعيدة من السوق

هو « شيخ » لاحدى الطرق الصوفية في هذه البلاد . قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . تراه فترى وجها كالحا مسنوناً ، ولحية قذرة صفراء كأن دخاناً كثيفاً لايزال يتعهدها ويغشاها من حين الى حين . كان يعتنق طريقة صوفية ، فلما لم يجد فيها معاشا تحول عنها الى طريقة أخرى يعيش فيها عالة على أحبابها ومعتنقيها ، فلا يدع وليمة ولا جنازة لأحدهم إلا هرول اليها متعرضا لما قد يكون فيها من صدقات أو نفحات .

ولقد مرد على هذا الأسلوب من التكسب فأتقنه وتفنن فيه ، فهو يبث العيون والأرصاد يتنسمون له أخبار الأفراح والأتراح ، ويرسل في المدائن حاشرين يأتونه بالزوار والمريدين يرجون مغفرته ويلتمسون منه البركة والخير ! ويرتكب هؤلاء الدعاة الذين يدعون الناس اليه ضروباً من الترغيب والترهيب ، فينحلونه المناقب والصالحات ، والخوارق والمعجزات ! فيزعمون « أن من يطيع الشيخ فقد أطاع الله » وأن الرسول (ص) لا يفارق الشيخ طرفة عين ، وأن من اتبع الشيخ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن يدخلونها ، وأن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير

وقفوا ذات يوم على فاكهي وقالوا له : إن شيخنا يقرئك السلام ويقول لك يا بني إني أرى في المنام كأنك تتخبط في ضحضاح من النار وأنت تستغيث فلا تغاث حتى استغثت بي ، وذكرتني باسمي فأخذت بيدك ، وانقذتك من الهلاك . وتعبير هذه الرؤيا هو أنك رجل قد غرق في ذنوبه وخطاياه ، ولا خلاص لك إلا بأيدينا ... ثم لا يزال هؤلاء بالرجل يزينون اليه الشيخ ، ويحثون على زيارته ، حتى يقع في الفخ ، ويزور الشيخ ويأخذ منه « الوسيلة » . وهنا يصير مريداً ممن يرزقون الشيخ ، ويؤدون اليه كل ما هو في حاجة اليه من طعام وشراب ومن نقود ومتاع

ولقد مد الشيخ أحبولته مرة أخرى فاصطاد رجلا مخلصاً بسيطاً ، طيب القلب . يقال له « علال » ، وكان هذا عاملا مجداً يدر عليه عمله كسباً وفيراً ، وخيراً كثيراً . وكان سمحا كريماً ، فكان يرزق الشيخ ويقوت عيال الشيخ ، ويجزل له العطايا والهبات . فلم يكن يشتري لنفسه شيئاً إلا اشترى مثله للشيخ ، ولا قضى لنفسه حاجة إلا قضى للشيخ حاجة مثلها ، فإن اشترى لنفسه رطلا من البن أو العنب اشترى للشيخ من

ذلك رطلا أو رطلين اثنين ، أو فصل لنفسه عباءة فصل للشيخ عباءة أحسن منها وأغلى وهلم جرا

واتفق أن صاحباً لعلال قدم من الحج فأهدى إليه عمامة حجازية من الحرير الغالي ، فأهداها بدوره إلى شيخه ، وأن صاحباً له آخر قدم من فاس فأهدى اليه « جلابّة » من القش الرفيع الذي يلائم مرح الشباب ، ولا يصلح للشيخ الفاني ، وأراد الرجل أن يرتديها فتذكر الشيخ فاشترى له « جلابّة » تناسب الشيخوخة ووقارها بقيمة تفوق قيمة « جلابته » الأولى ، وارتداها في يوم جمعة ، وما هي إلا أن رآها الشيخ عليه حتى أرسل إليه من يحثونه على أن يهديها إليه ، فانتزعها لفوره من على ظهره ووهبه إياها ، فأرسل الشيخ بالعمامة و « الجلابة » إلى السوق فباعهما ببعض ثمنهما ؛ وشهد « علال » صفقة البيع ، وظن أنهما سرقتا من الشيخ فسأل الدلال عنهما فأخبره بالواقع ، فكبر عليه أن تباع « هديته » وهو يسمع ويرى ، فاشتراها للمرة الثانية ، وجعل يحدث نفسه ويقول :

ترى أبلغ من هواني على الشيخ أن يبيع ما أهديه إليه ؟ وما هو مصير « هداياي » الأخرى ؟ أم بلغ من هوان الشيخ على نفسه أن يتاجر بما يهدى إليه الناس ؟ وعلى أية حال فأنا لا أرضى لنفسي هذا المصير . وأحس الشيخ أن الرجل قد بدا يتنكر له ويجفوه ، فخشي أن يفلت من يديه ، ويولى عنه مدبراً . فعزم في نفسه أمراً ، وعزم أن يلعب آخر دور في الرواية ، وكان يعلم أن عقيلة علال تملك حلياً ومصوغا ومبلغاً من المال ، فدبر للاستيلاء على ذلك حيلة من عمل الشيطان ، فبلغ بها ما أراد . وذلك بأن أرسل إليها نساء ماكرات من اللائي قد أعدهن لمثل هذا الأمر ، فقلن لها : إن سيدنا يقرئك السلام ، ويقول لك يا بنيتي إني أرى في المنام أنك كنت مضطجعة نائمة ، فجاءت امرأة أخرى فاختطفت منك غطاءك الذي يغطيك وكان من الحرير الأبيض بياض الثلج ، فوثبت أنت من سريرك فزعة مذعورة تستغيثين وتملئين الدنيا ولولة وصياحاً : « غطائي ! ستري ! غطائي ! ستري ! » فاجتمع عليك خلق كثير ، فكان اجتماعهم هذا ضغثاً على إبالة ، وزاد في مصابك ولوعتك أن أحداً منهم لم يتقدم لاغاثتك ، حتى جئت أنا وانتزعت من الناصية غطاءك ورددته عليك . ثم قلن لها إن تعبير هذه الرؤيا هو أن امرأة أخرى ستأخذ منك زوجك ولا يرده عليك سوى سيدنا ، وهو يستطيع أن يدفع عنك هذا البلاء سلفاً من الآن ، بشرط أن تدفعي إليه ثلاثة آلاف فرنك مقدماً . فرجعت السيدة إلى نفسها تبحث حياتها الزوجية فلم تعثر على أدنى شيء ينبئ بصدق هذه الرؤيا فلم تطاوعها نفسها أن تتهم زوجها ظلماً بغير حق أو أن تظن به الظنون ، وهي ما علمت عليه من سوء . فلم تكترث لهذه الرؤيا ، وقالت إنها أضغاث أحلام . ولكن الشيخ كان جاداً غير هازل ، فدس إلى فتاة من الفتيات اللائي ينتمين إليه من أوهمها أن الشيخ قد دعا الله لها أن يرزقها زوجاً كريماً ، وأن الله قد استجاب له فيها ، وقال : إني أرى في المنام أن فلانة قد زُفت إلى علال في احتفال رائع مهيب . وكانت هذه من الآنسات العانسات ، ففرحت وأعطت الشيخ من العطاء الجزيل ما أرضاه ، وجعلت منذ ذلك اليوم تعرض لعلال ، وتبدى له من زينتها تفتنه وتغريه حتى وقعت من نفسه ، ومال إليها ، وشرع الشيخ يمهد لها الطريق ، فدس إلى علال من يهدمون عليه أسرته الهانئة السعيدة ، ويعاؤون معه بما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هي إلا أن وقع بين الزوجين خلاف بسيط حتى أخرج علال أم ولده من دارها وأطلق سراحها . وسرعان ما التف به أعوان الشيخ وأحكموا الصلة بينه وبين الفتاة العانسة ، وعقدوا له عليها من ليلته عقدة النكاح

وأتى على المطلقة حين من الدهر تجرعت فيه طعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ، وذاقت من مصائب الدهر وأرزائه ما لا يعلمه إلا الله ، فلقد خسرت زوجها على حين غفلة ، وهي أشد ما تكون حباً له واطمئناناً اليه ، واخلاصاً له وحدباً عليه . وهي تخشى أن ينتزع وحيدها من بين أحضانها ، وهي لا تطيق أن تتحطم سعادتها وهناءتها ليتم هناء عدوتها ؛ ولقد فكرت في الانتحار ، وهمت به مراراً لولا إبقاؤها على وحيدها ، ولكنها التجأت أخيراً إلى الشيخ مذعنة طائعة ، قد أسلمت له وجهها ، وفوضت اليه أمرها ، ترجوه أن يعيد اليها زوجها ، وله بعد ذلك ما يشاء ويختار ، فرفع القيمة هذه المرة ، وجعلها عشرة آلاف فرنك تدفعها اليه نقداً . وبعد توسلات ومساومات

رضيَ فتسلمَ منها خمسة آلاف نقدته إياها ، وباعت فيها بعض ما تملك من حلى ومصوغ . وقعدت فى دارها تنتظر النتيجة على أحر من الجمر

وطفق الشيخ يتودد إلى « علال » ويلاطفه حتى نسى الماضى القديم ، وأحلّه من نفسه محلّ الثقة والرضى . وما استيقن الشيخُ ذلك من الرجل حتى قال له ذات يوم — وهما على انفراد — : يا بنيّ إنى أرى فى المنام أنك لستَ بخير فى أملاك هذه التى لم تتعظ بكونها قضتْ زهرة أيامها عانسةً بائرة ، فقد حادت عن طريق الشرف والاستقامة من غير أن تحفظ لك غيباً أو تعترف لك بجميل . وأما كا تعلم إذا رأيتُ الرؤيا جاءت كفلَق الصبح . وكان الشيخ قد أوعز إلى بعض أعوانه فأخبروا علالا بأن عِرْضه أصبح مضغة فى الأفواه ، تلوكه ألسنةُ السوء ، وأن النساء فى الحمامات وفى الولائم والمناحات يتلقّفنَ أهله بألسنة حِداد . فما كذب الرجل فيما سمع ، وأسرع إلى « خيْرةَ » يَفك عصمتها وأعلنها بطلاقها ، وهى ما تزال بعدُ عروساً فى خدرها ، ولم ينصل خضابها . وغدا عليه الشيخ فى وجوه من أعوانه وشركائه «يتوسل اليه» أن يراجع زوجته الأولى ، ويقول له : يابنى إنى أرى فى المنام أن جبريل عليه السلام قد زوّجكها من فوق السموات العلى ، فأذعن الرجل ، ولم يكد ينقضى يومه ذاك حتى كانت قد جُليتْ عليه مرة أخرى

لقد اطمأنت « خيرةُ » إلى الأيام ، وحسبت أن زواجها هذا قد جعل حداً لوحدتها وشقائها ، وظنت أنها بهذا الزواج مقبلة على حياة منزلية هانئة سعيدة لا حُزْنَ فيها ولا عناء فاذا بها تتلقى هذه الصدمة العنيفة القاسية الأليمة التى لا رحمة فيها ، فتملأ نفسها حيرة واضطراباً ، وتملؤها ظلمة ويأساً ، فلم تطق الصبر ولا الاحتمال ، فتحنق وتثور انتقاماً لنفسها ، فاذا هى تنتقم من نفسها ، وقد ضلت السبيل ، واندفعت فى الغى وسقطت فى الهوة التى لا قرار لها

وأراد الشيخ أن يحج إلى بيت الله الحرام لا إيماناً واحتساباً لأنه ممن يزعمون أن زيارة الضريح الفلانى تعدل عند الله ثواب حجة وعمرة معاً ؛ ولكنه يريد التكسب والارتزاق ، فطاف على الناس يستعينهم على الحج ، فيزعم لهذا أنه سيدعو له الله تعالى عند البيت الحرم ، ويزعم للآخر أنه سيستغفر له عند مقام ابراهيم ، ويتناول على ذلك أجره سلفاً . أما الذين يستلمُ منهم سلفا أثمان « الأردية » و « العمائم » و « السبحات » وما إلى ذلك مما سيحمله لهم معه من الحجاز فهم كثيرون جداً ، لا يكاد يأخذهم إحصاء . وانتهى به المطاف إلى ضحيته « خيرة » فدخل عليها وهى فى منزلها ، وقد أثرَتْ من حياتها الجديدة الماجنة وأصبحت ذات مال فخجلت لمرآه وأدركها الحياء ، غير أنه أخذ يزين لها ما هى فيه ، ويزعم لها أن الله قد غفرلها جميع ما اكتسبت من الخطيئة والأثم . وقال لها : يا بنيتى إنى أرى فى المنام أن سيد الوجود (ص) يقول لكِ : طوفى بالبيت العتيق وزورى قبرى تخرجى من ذنوبك كيوم ولدتْكِ أمك ، فان لم تستطيعى إلى الحج سبيلاً ، فليحُجّ عنك هذا الرجل الصالح (يعنى الشيخ نفسه) . ولم يزل بها حتى آمنت له ، ودفعت إليه سائر النفقات ليحج عنها . فلما آب جاءها ببعض الهدايا مكتوباً عليها : « إلى الحاجة خيْرة » !

كان الناس فى بحبوحة من اليسْر والرخاء تملأ أيديهم الدراهم والدنانير فكان الشيخ فى نعيم وعيش رخيم ، يأتيه رزقه رغداً من كلّ مكان : هذا يعطيه رطلاً من اللحم ويجعله له راتباً يومياً ، وذاك يعطيه شيئاً من الخضر والفواكه ، ويجعله له عطاء غير مجذوذ ، وذلك يُهدى اليه قنطاراً من السميد ، ويجعلها له جراية شهرية وهكذا الخ الخ ، فكان إذا دخل السوق خرج منها و « قفته » ملأى — مجاناً — بكل ما هو فى حاجة اليه . فلما أعسر الناسُ ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم من شدة ما يعانون من ضنك وضيق نضبت موارد الشيخ ، وانقطعت عنه الرواتب والعطايا ، ولم يعد تملأ « قفته » بالمجان ، ولم يعد يلتمس لنفسه صدقة جارية عند أحد الباعة إلاّ وجدها قد بطلت . وقطعت الأزمّة دابرها ، فالأزمة إذن هى السبب الأول فى مُصاب هذا الشيخ ، وزملائه من الأشياخ ، فان كان لا بُدّ لهم أن يلوموا فليلوموا هذه الأزمة الخانقة ، وليلوموا بعدها هذه اليقْظة الشاملة التى شملت الدنيا كلها ، ثم يأتى بعد ذلك دَوْر هؤلاء المصلحين

(وهران) محمد السعيد الزاهرى

الحياة الأدبية فى الحجاز

بقلم عبد المجيد شبكشي

كان الأدب العربى مثال الكمال والروعة والازدهار والانتشار فى دولة الأمويين وفى صدر الدولة العباسية . وكان نصيب الحجاز من هـذا الازدهار طيباً مرموقا ، واقتضى خلوه من الأحداث السياسيه أن يحيا مغموراً حتى تجرد من العلم والثقافة وصفر من من الرجال الممتازين ، وعملت الهجرة على محو مقوماته ومميزاته

ثم بدرت بادرة من بوادر النهوض ونسمة من نسمات الحياة بعد فنفخت فى الحجاز روح اليقظة الفكرية فأخذ يسترجع ماضيه بفضل جهود البعض من أبنائه المخلصين الذين جرى فى عروقهم الدم الحجازى الحر فتأثروا لتدهوره تأثراً قوياً جعل قلوبهم تتقطع أسفاً وحزناً على الماضى العزيز الذى ذهب هباء منثوراً وغرق الحجاز بعده فى الجهالة وأضاع تراثه المجيد

مرت اليقظة فى أفكار بعض شباب الحجاز وأحسوا بالواجب الوطنى وتنبهوا إلى فضل الأدب فى نهضات الشعوب فتأسست لجان للاجتماع ، ونواد للأدب حيث قاموا فناولوا حركة أدبية لا تشوبها شائبة بالنسبة إلى تلك الحالة وبالنسبة أيضاً لعدم وجود مؤهلات كافية لدرس الأدب ، حتى المدارس كانت إذ ذاك بسيطة جداً يتخرج منها التلميذ وهو لا يعرف من مواضيع الحياة شيئا

ثم جاء دور التكوين للنهضة الفكرية وكان ذلك قبل عشرة أعوام تقريباً نظم فى خلالها أدباء الحجاز الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه وأعلنوا عن أفكارهم وسجلوا آراءهم ، فشعر الحجاز حينذاك بدبيب الحياة يتمشى فيه ، وأحس بجمال الأدب والفن معاً ، وحينذاك قام أحد أدباء الحجاز البارزين[١] وأصدر كتاباً أدبياً يضم بين دفتيه مختارات لأدباء الحجاز فأثبت للأمة أن هناك أدباً راقياً يدعى الأدب الحجازى . وقد تجد فى هـذه المجموعة روح الحجاز الأدبية ممثلة من حيث صحة النزعة وبساطة التفكير وجماله ، فكان عمل هـذا الأديب بشير يقظة فكرية منظمة ، وقد كان الأدب الحجازى فى ذلك العهد بسيطاً شأن كل شىء فى بدايته . ولكن الأفكار كانت سائرة مع الحياة متأثرة باتجاهها فلم يمض وقت طويل حتى نضجت تلك الأفكار ، وازدهر الأدب بعض الازدهار ، ولولا ما نشأ بعد من عوائق شتى وقفت بالحركة الفكرية بعض الشىء لاضطرد تقدمها . ونستطيع أن نقول بحق إن الموفقين من شباب الحجاز فى الناحية الأدبية قليلو العدد جداً ، والكتاب البارزين فى الحجاز لا يزيدون على عشرة ، ولكن أقلامهم الممتازة هى التى صورت مبلغ تأثر الحجاز باليقظة الفكرية ومدى إدراكه . أما قراء الأدب فكثيرون وهم ممن أنجبتهم المدارس الحالية ، وهؤلاء بلا شك يرجى لهم مستقبل طيب مرموق

والحجاز اليوم بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائه المخلصين متقدم بخطوات واسعة إلى الامام ، وميال الى احتـذاء أدب مصر ونزعاتها الفكرية ، ولا غرابة إذا شابه البعض من أدباء الحجاز بعض أدباء مصر فى روحهم الأدبية وصار يكد ويجتهد فى الحصول على ما يريده فوق ذلك من المثل الأعلى حتى يدرك المرمى الذى يقصده !

والأدب الحجازى اليوم رمز لما فى أفئدة الحجازيين من عواطف واحساس وحب وولاء ، ولما فى نفوسهم من شعور وكرم أخلاق ، ولما فى ضمائرهم من مبدأ واستقامة وغرام عميق بالحرية . وتختلف الأوساط الأدبيـة اليوم باختلاف قوتها ومداركها وتطورها وتجددها وعما يستتبعه هذا الاختلاف من تأثر بأساليب النقد البرىء والتأمل الممتع والبحث الناضج ، أو النقد المتهافت والنظرات الجوفاء والبحث الضعيف الخ ، وهذا الاختلاف يعطينا صورة واضحة للتطور والتجدد فى الأفكار تتحد مع نواميس الكون فى نشوئه وتطوره . وليس غريباً على الحجاز أو الحجازيين أن يتأثروا بمؤثرات هذا العصر الحديث وفنونه ونزعاته ، وأن تكون حياتهم ميالة الى اقتباس أساليب جديدة فى الحياة والأدب ، فان ذلك من بوادر النجاح وأسبابه ، وهو دليل اليقظة ، ونؤمل أن ينال الحجاز نصيبه من التقدم والشهرة والحرية التى هى من مبادىء الحياة الصحيحة فى هـذا العصر . على أن هذا الروح الأدبى السامى المتمثل اليوم فى

---

(١) هو الأستاذ محمد سرور الصبان مدير إدارة وزارة المالية

من الحياة العلمية فى مصر

٤ – تقى الدين السبكى

بقلم محمد طه الحاجرى

تتمـــة

ولقد خلفت له هذه الولايات متاعب غير قليلة ، وأثارت ـه دفائن من الحقد وسخائم القلوب ، فقد نقم عليه ولايته ـماء الشام قوم من أهلها كانوا يطمعون فيها ؛ وأخص هؤلاء ـرة جلال الدين القزوينى قاضى قضاة الشام من قبل ، وطبيعى ـ يأخذ ذلك الحقد سبيله من السعاية والوشاية والتحريض ـليه والتنفير منه ؛ ثم كانت ولايته لخطابة الجامع الأموى مما زاد ـلأمر ضغثاً على إبالة ؛ فقد كانت تلك الخطابة فى بيت القزوينى كذلك ، ويقول زين الدين عمر بن الوردى فى تاريخه : « لما توفى الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى خطيب دمشق تولى السبكى الخطابة ، وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخى الخطيب المتوفى وقائع ، وفى آخر الأمر تعصبت الدماشقة مع تاج الدين ، فاستمر خطيبا » . وكذلك أغضبت ولايته مشيخة دار الحديث الأشرفية قوما من أهل الشام كانوا يرشحون لها شمس الدين بن النقيب ، ولقد سيقت اليه هـذه الولاية وهو كاره ، إذ كان قد رأى أن الذهبى هو الأحق بها ، وقد عينه لها ، لولا سلطان الشهوات كما سنرى ذلك

هذا وجه من وجوه الحالة فى الشام ، وقبيل مما كان يسبب له المتاعب والآلام ؛ وهناك وجه آخر يتعلق بما أشرنا اليه من قبل عما أوجده مذهب ابن تيمية من تفريق وخروج على المذهب الرسمى السائد

وقد رأينا أن اختياره كان منظورا فيه إلى تلك الحالة من السلطان ، ونقول الآن إن القوم فى دمشق كانوا يرون فيه ذلك أيضا ، وكانوا يأملون أن يخلصهم من آثار « الحنابلة » وما أثاره زعيمهم القوى الجديد ؛ ولعل المطامع الشخصية حسبت فى ذلك سلما يمكن أن ترتقيه وتصل به إلى أغراضها فى مظهر دينى سابغ ؛ ولـكن تقى الدين كان أحكم من أن ينخدع بمثل هذا ، كما كان أكبر من أن يخلط فى تقدير الأمور ؛ فأغضب الطامعين ولم يرض جماعة المتشددين المتكلفين

وهنا يحسن بنا أن ننقل نص ما حكاه التاج السبكى من أبيه فى أثناء ترجمته للحافظ أبى الحجاج المزى ، ففيه صورة دقيقة حية لما نحن بصدده ، قال :

« . . . . وحكى لى ، فيما يحكيه من تسكين فتن أهل الشام ، أنه عقب دخوله دمشق بليلة واحـــدة حضر اليه الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكى – وكان الشيخ الامام يحبه – قال دخل الى وقت العشاء الآخرة ، وقال أمورا يريد بها تعريفى بأهل دمشق ، قال : فذكر لى البرزالى وملازمته لى ، ثم انتهى الى المزى فقال : وينبغى لك عزله من مدرسة دار الحديث الأشرفية ، قال الشيخ الامام : فاقشعر جلدى ، وغاب فكرى ، وقلت فى نفسى : هذا امام المحدثين ! والله لو عاش الدارقطنى لاستحيا أن يدرس مكانه ! قال : وسكت ، ثم منعت الناس من الدخول على ليلا ، فقلت هذه بلدة كثيرة الفتن ؛ فقلت أنا للشيخ الامام : إن صدر الدين المالكى لا ينكر رتبة المزى فى الحديث ، ولـكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد أن يكون أشعرى العقيدة ، والمزى وإن كان حين ولى كتب بخطه أنه أشعرى ، إلا أن الناس لا يصدقونه فى ذلك فقال : أعرف أن هذا هو الذى لاحظه صدر الدين ، ولـكن من ذا الذى يتجاسر أن يقول : المزى لا يصلح لدار الحديث ؟ والله ركبى ! ما يحتمل هذا الكلام !

الحجاز حسب ما هو مشاهد وملموس هو بلا شك تأثر صحيح ومعقول ، وهو المأمول أيضاً لبلاد لها ماض أدبى حافل

وأدباؤنا يشعرون ويتأثرون بعوامل الحياة الفكرية ويجيدون التصرف فى فنون القول ويبدعون فى سبك العبارات ووضعها فى قالب من الحكمة والذوق ليحوزوا قصب السبق فى معترك الحياة الأدبية وليرفعوا اسم بلادهم عالياً ، وهذا ما يرجوه ويناصره كل أديب حجازى وهب موهبة الاحساس والشعور بالحياة وفرائضها – وليس ولله الحمد ثمة ركود ولا فتور فى النفوس والأفكار

(مكة) عبد الحميد شبكشى

فأنت ترى أن أول ما ووجه به السبكي في الشام هو الانكار على البرزالي والمزي وأضرابهما ، ممن يتهمون بالميل مع ابن تيمية وأن أول ما تقدم به اليه فقهاؤها هو « اعلان الحرب » على هؤلاء ، وموقف السبكي من هذا موقف نبيل مجيد ، فقد رأى الأمر فتنة لا ينبغي أن يفتتن فيها مع المفتونين ، فركن الى دينه وضميره ، وترك بنيات السبل ، ولم يعبأ بهذه الصغائر وما تنطوى عليه من انذار وتهديد ، ولبث مصاحبا للبرزالي ملازما له ، الى أن خرج إلى الحج وقضى نحبه ، ثم ما فتئ يذكره ويثنى عليه أطيب الثناء ، وأقر المزي في مكانه بدار الحديث الى أن مات سنة ٧٤٢ هـ ، وكان يكبره غاية الإكبار ، ويحث ابنه على ملازمته والانتفاع به ، لا يصرفه عن ذلك تقولات المتقولين ولا ازورار المزورين

ولما مات المزي كان ثمت مظهر آخر من مظاهر هذه الفتنة في تعيين خلف له ، فقد كان الذهبي هو وحده البقية الباقية من رجال الحديث الجديرين بتولى مشيخة « دار الحديث » ولكنه كان متهماً بمشايعة الحنابلة شيعة ابن تيمية ، فمال عنه القوم لذلك ، ورشحوا شمس الدين بن النقيب ، ودعوا له ولجوا في الدعوة . أما السبكي — واليه حق التعيين — فلم يغلبه الهوى على الحق ، ولم تأخذه في سبيل العلم عصبيــة ، ولم يبال بصياح الصائحين ، فعين الذهبي فى ذلك المنصب . وهنا اشتدت ثورة القوم وعلا صخبهم ، وهو مصر على رأيه حتى لم يبق بد من حضور نائب الشام وكان فى ذلك الحين « الطنبغا » ، فلم يستطع التوفيق . وأخيراً رأى شيخ الحنفية أن تحل الأزمة بأن يتولى المشيخة السبكي نفسه ، ووافق الأمير على هذا الرأى وهو يقول : « أعلم الناس بهذا العلم الذهبي وقاضي القضاة ، وقاضى القضاة أشعرى قطعا ، وقطع الشك باليقين أولى . » وانتهى الأمر على ذلك بعد أن كاد يفضى الى فتنة لا يعرف مداها

فوقف السبكي هذا من شيعة ابن تيمية وإغضائه عن العصبية المذهبية هذا الاغضاء وعدم مسايرته الأشاعرة فى كل ما يشتهون أفسح المجال أمام المتخرصين ، ومكن الحقد من أن يجد سبيله ممهدا بين جمهور الناس وفى مجالس الخاصة ، ولا سيما فى مجالس الأمير نائب دمشق ، ففسدت الصلات بين الشيخ وبين أغلب الذين تولوا نيابة الشام ، وكثيراً ما قامت الحرب بينه وبينهم ، وما كان يطفئها إلا ما كان ولاة ذلك العهد معرضين له من العز[ل] الوشيك أو القتل المفاجئ

على أن السبب الأول فى توتر العلائق بينــه وبين النوا[ب] يرجع — فى حقيقة الأمر — إلى صلابته فى الحق ، وصرا[مته] فى تقريره ، وتقديره لقدر منصبه ، واعتباره إياه حرماً لا ينب[غى] لأحد أن يتطاول اليه أو ينال منه ؛ فهو الحفيظ على الحق الذ[ى] جاء الشرع ببيانه ؛ فكل تفريط فيه ، أو تمريض له ، أو ملاي[نة] فى تنفيذه فانما مردها إلى هذا الشرع الذى يقدسه ، وحاشاه

وكان الولاة من ناحية أخرى ، قوماً عجما ، أدعياء فى الدين لا يتعدى إعانهم مظهرهم ، ولا يعرفون الحق إلا أمراً ينفذ وشهوة تقضى ، وعتواً واستكباراً فى الأرض ، إلا قليلاً منهم ثم كان يزيد اضطراماً ما كان يلقيه فيها من السعايات والنمائم م[ن] كانوا يداخلونهم من أهل الشام ، ومنهم بعض العلماء مثل شهاب الدين العمرى الذى كان يقع فيــه فى مجلس الأمير ايدغمش [1]

ومما يدل على دسائس القوم عند الولاة أن أحد هؤلاء الأمراء واسمه فيما يورده صاحب الطبقات (طقزه تمر) [2] كان فيما يقو[ل] من أحب الناس له فى مصر ، فلما جاء إلى الشام غيّره عليـ[ـه] الشاميون ، وأعانهم عليه امتناعه من امتثال أوامره

ولقد هم السبكي مرة أن يستقيل من منصبه ، وكان ذلك فى ولاية ايدغمش سنة ٧٤٣ [3] ، وكان قد بلغ فى معاندته وإيذا[ئه] مبلغا كبيرا . ولكنه يظهر أنه رأى فى هذه الاستقالة تحقيق[اً] لشهوته ، وتخليا عن واجبه ، فعدل عنها واستمر فى مجاهدته وأراد ايدغمش أن يتخلص منه ، وأن يلتجئ إلى دعوى الدين فى محاربته ، فجمل يجمع الفقهاء للفتوى عليه — وما كانت تعوز[ه] مقدمات الافتاء — وكاد الأمر يتم للنائب لولا أن جاء «البريد» الى الشيخ يطلبه الى باب السلطان فى أمر من الأمور ، فذهب الى مصر ، وهناك أوجد أزمة غير هينة الحل ؛ فقد أصرّ على

(١) الأمير علاء الدين ايدغمش الناصرى ، وقد كتب المقريزى ترجما[ن] لحياته عند كلامه عن خوخة إيدغمش (ج٢ — ص٣٥ — ط بولاق)

(٢) هكذا يقرأ اسمه فى نسخة الطبقات المطبوعة ، ولعله طقز دمر كما يتردد كثيراً فى ابن إياس والمقريزى ، وتولى نيابة دمشق سنة ٧٤٥ ومات أول جمادى الآخرة سنة ٧٤٦

(٣) هكذا يحدد التاريخ التاج السبكى ، وفيه نظر ، فان مدة نيابة ايدغمش ، كانت كما يقول المقريزى : من ٢٠ صفر سنة ٧٤٣ إلى ٣ جمادى الآخرة من هذه السنة

لا يعود الى الشام وفيها ايدغمش ، ولبس من اليسير عزل نائب من أجل قاض مهما علت منزلته . ولكن القدر كان أسرع إلى حل هذا الأزمة وأفضى فيها من كل تدبير وقضاء ، فقد جاء الخبر بموت ايدغمش موت الفجاءة ، وعاد الشيخ الى دمشق يعيد سيرة الحق المجاهد الظافر.

وممن آذاه واضجره نائب اسمه « أرغون شاه » ، تولى نيابة الشام سنة ٧٤٨ ، ويروى أن الشيخ كان يمسك بطرزه ويقول له : « يا أمير ! أنا أموت وأنت تموت ! » وتأمل أنت في هذا قوة الايمان والجرأة في الحق . وقد ظل ذلك الرجل في نيابة الشام سنتين ثم قتل

كان آخر هؤلاء النواب أرغون الكاملي (١) ، وكان رجلا فظا غليظ القلب . وقد حكى تاج الدين أن أباه « حكم مرة في واقعة جرت وصمم فيها ، وعانده أرغون الكاملي نائب الشام وكاد الأمر يطلخمّ شاما ومصر ، فقد ذكر القاضي صلاح الدين الصفدي أنه عبر اليه وقال : يا مولانا ! لقد أعذرت ، ووفيت ما عليك ؛ وهؤلاء مايعملون الحق ؛ فلم تلق بنفسك الى التهلكة وتعاديهم ؟ فتأمل مليا ثم قال :

فليت الذى بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

ويا عجبا لتلك الشيخوخة التي لا تزيدها الأيام إلا صلابة وقوة ، وذلك الايمان الذي لا تزيده مظاهر القوة إلا غلبة واستعلاء

وهكذا كانت حياة تقي الدين السبكي في الشام : ملجأ للحق يلوذ به ويعتصم ، ومثالا للخلق القوي الذي لا ينثلم ، وآية من آيات الله على قوة الروح الانسانية متى خلصت من الرعونات والنزوات فلا يغلبها غالب

ولقد كان الحنين الى الوطن يهز ذلك الشيخ هزا ، فذهب الى مصر ، وخلع عليه سلطانها ، ثم عاد منها الى دمشق سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م)

وفي ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) نال منه الضعف وأدركه المرض ؛ ولما اشتد عليه استخلف على قضاء الشام ابنه تاج الدين ، فتقلده . وكان في أثناء مرضه شديد اللهف على العودة الى وطنه عظيم الحرص على أن يدركه فيها أجله ؛ فسافر الى مصر

(١) هو الأمير سيف الدين تولى نيابة دمشق في ١١ شعبان سنة ٧٥٢ ولقد أورد المقريزي ترجمة لحياته بمناسبة كلامه عن دار أرغون (ج ٢ ص ٧٣ ط بولاق)

ولبث فيها أياما يكابد العلة ، حتى أدركته الوفاة ليلة الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ (١٠ سبتمبر سنة ١٣٥٤ م) وخلف ميراثا جليلا ضخما (١) مما صنفه في كثير من الفنون ، وميراثا آخر أجل وأضخم في ابنيه الملامتين : بهاء الدين وتاج الدين .

وامل الله يوفقنا لدراسة حياتيهما ، ورسم صورة لهما

كلية الآداب — محمد طه الحاجري

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب إنه « صنف نحو ١٥٠ كتابا مطولا ، ومختصر المختصر منها يشتمل على ما لا يوجد في غيره من تحرير وتدقيق وقاعدة واستنباط »

قرب المـــوتى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا روح إلف أليف الموت والحُفَرِ
قومى اسألى عن أليف الهم والسهرِ
أو فابعثى هاتفاً بالليـل يؤنسنى
لو كان لِلْمَيْتِ من شوق ومن ذِكَرِ

وحلِّقى فوق قوم كنتِ زينتهم كالطير تهبط فوق الوكر فى الشجر
فإن نورك نور النجم يرشدنا ورحلة العيش تحكى رحلة السفر
أو كالملائك تهدى وهى خافـية
وتُشْعِرُ النفس طُهْراً ليس فى السِّيَرِ

عجزٌ عن الشر لم أبصره فى نفر ياشر ما خَلّفَ الأحباب من نفر
غرارة ربما لو عشتِ ما بقيت إذا عداك الردى عن مهبط البشر
هل تلك طبع الصبا ودى الحياة به لا بل غرار فؤادٍ غير ذى نُكُر
فصانك الله فى أمن وفى كَنَفٍ وقُدْسِ طُهْرٍ كصون المرء للذخُر
كأنما أنتِ ذُخْرٌ لا يجود به على الدُّنَى وهى من ضَيْرٍ ومن أشر
ماأقرب الميت من حى وإن بعدت مكانة بين هذا الوِرْدِ والصَّدَرِ
إن الأُلَى خلفونا بعدهم ومضوا ما خلفونا وإن غابوا عن النظر
هم فى الأمانىّ والأرواح والذِكَرِ مناو فى القلب والأشجان والفِكَرِ
فكيف نجزع من فَقْدٍ وماانتقلوا إلا إلى النفس حرزا ريم من غِيَرِ
يا قرب دارهمُ من واصل لهمُ بالنفس إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حىٍّ يفارقها أشد من وحشة فى السمع والبصر
من حاضرين وإن ماتوا وإن بعدوا
وإن غدوا كحديث الركب والسمر

ورب ذكرى تعيد المَيْتَ فى شبح يكاد يُلْمَسُ لولا رادع الحذر
ماض من الدهر والأقوام يخبرنا أن لا مسافة بين المهد والحُفَر

عبد الرحمن شكرى

زهرتى المختارة

بقلم الياس قنصل

يازهرتى العاطرة الناضرَهْ هل شوّهتْ كفٌّ الى حسنكِ
جنتكِ فى الليـل يدٌ جائره لو أنهـا تمثلتْ حزنكِ
لفرقنى ، ما سبَّبتْ بينكِ

يا زهرتى جمالكِ المبـدعُ لتبدعى البهجةَ فى روضتى
ورصَّعت ذاك البهـا أدمعُ من الندى الباكى بلا مقلةْ
لتسكبى العـزاء فى مهجتى

يازهرتى عنكِ سينأى الفتونْ وقد نأيت عن حمى الشاعر
وبعد أن كنتِ مقرّ العيونْ ستستحين من فتى ناظر
يعرضُ عن جمالكِ الفاترِ

أما أنا يا زهرتى ، فالأسى أنْشَبَ فى جوانحى مخلبَهْ
أبعدكِ الدهرُ وقلبى احتسى من المرار أكؤساً مصئبَهْ
أربتْ على أناته المرعبَهْ

يازهرتى كيف أعزى الزهور إذا رأين عرشك الخاويا
تطوف حوله بقايا العبيرْ هامسـة : ولىّ القضا نائيا
بها ، وغادر السنا باكيا ...

والطيرُ إن تسألْ ، فماذا يكونْ لها جوابى عند تغريدها
كم رفرفت فوقك بين الغصونْ وأسمعتكِ من أناشيدها
نجوى ، جلالها بترديدها

يازهـرتى ليهنأ السارقُ بما جنتْه روضتى من أريجْ
وليغتنم نضرتَكِ الرامقُ وليسكر النفسَ بحسن بهيج
ففى ثناياكِ بهاء يموجْ

يا زهرتى كذا أرادَ القضاءْ بحكمهِ ، فحزننا لا يفيدْ
ويأسنا يبعدُ عنا العزاءْ ويجعل العيشَ بهذا الوجودْ
حشرجةً ، فيها العناء الشديدْ...

(عاصمة الأرجنتين) الياس قنصل

الليلة الثانية عشرة

Twelfth Night

— ٢ —

المشهد الثانى : على ساحل البحر

« تظهر ڤيولا والقبطان والبحارة »

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

ڤيولا : أىّ بلاد هذه ؟ رفقتى !
القبطان : إيليريا !
أخى بإليسيومُ !
بجنّة يخـلد مكانها ... ويكمل الأنس بها والنعيم
مالى و إيليريا !.. يَه !.. علّه ... مثلى نجا ؛ هل مستحيلاً أروم ؟
مُعجزةٌ للحظِّ أن تسلى !
ڤيولا : بمثلها الحظ لصنوى كريم !
القبطان :
صدقتِ ياسيدتى ، إننى ... أعضُد رَجْواكِ ، وربى عليم
لما طغى الماء على فلكنا ... وزاغ منكم عن حِجاه الحليم
وأدّتم الزورقَ حتى لقد ... كاد من الكظّة ألا يعوم(١)
رأيته يسبح فى لجـةٍ ... تهوى به حيناً وحينا تقوم
رجاؤه شدَّ بأعضـاده ... وأنه ذاك الشجاع العزوم
فشـد كفّيه إلى قائم ... فى البحر ضمّ الطفل صدر الرؤوم
كأنه (أريان) مستمسكا ... بظهر ذاك الحيوان العظيم
والمائجُ الحنِق من حوله ... قد راضـه فهو ولىّ حميم !
راقبته ما اسطعتُ حتى اختفى ... عن ناظرىّ تحت ظلال الغيوم !
ڤيولا :
شكراً لما طمأنتَ ، علّ النجا ... تجمع قلبين بقلب رحيم !
سلامتى أوحت — وأيّدتَ ما ... أوحته لى — أن ابن أمّى سليم
أتعرف هذى البلاد ؟
القبطان : أجل ... بلادىَ أعرفها جيـداً
ثلاثٌ من الساع تكفى لتُو ... صِلَنا منشأى ثَمّ والمولدا

(١) أدتم : أثقل

ڤيولا : ومن يَتّلى حكمها ؟
القبطان : سيّد ... زكا خُلقاً ، وسما محتدا
ڤيولا : وماذا اسمه ؟
القبطان : أُرسِنُو
ڤيولا : أُرسِنُو ؟ ... أبى كان سمّاه لى مُحمِدَا(١)
وأعزبَ كان !
القبطان : وأعزبَ لَمْ ... يَزَلْ ؛ فقريباً توشّى الصّدى(٢)
بإغرامِه بأوليفيا الجميـ ... ـلة
ڤيولا : ما هى ؟
القبطان : عذراء مثل النّـدى !
أبوها شريف قضى منذ عا ... مٍ وأوصى بها نجله الأوحدا
أخاها الحبيبَ إليها الذى ... به بعد ذلك ثنىّ الردى
فآلت أنّى لا ترى أو تعا ... شر من بعده رجلا أبدا (؟)
ڤيولا :
ويحها من مسكينة ! آه لو أخـ ... ـدمُها ! ربما أسرّى أساها
ربما أستطيع أن أنصرَ الحبَّ ... وأتقى نذوره فى رُباها
وأريها صوابها فى هوى الدو ... ق ، وأنثى دنياه فى دنياها
ربما تستقرّ حالى ، ويُدرى ... مَنْ أنا
القبطان : خطةً مُحالا أراها
إنها حرّمت على رُسُل الخطّا ... ب طرّاً أن يقربوا من حِماها
لن ترى وجه طارق منهم قط ... ولا الدوق نفسه إنْ أتاها
ڤيولا :
لك يا سيدى شمائل غُرٌّ ... لا تراها عينٌ فلا تهواها
غيّبت فيك باطناً من معانيـ ... ـها ، وحلّتك ظاهراً من حِلاها
لا تَلُمْ إن قلتُ : الطبيعة خانتـ ... ـكَ ، وقل لى هل أنت ممن رَشاها ؟
ليس هذا من دأبها ؛ فهى تكسو ... حيّة الروض لينها وبهاها !
و إليك اطمأن قلبى ، وما أحـ ... ـسب نفسى تضِلُّ فيك هداها
كن عِمادى فى خطة ربما تصـ ... ـعب ؛ لكن لا شك فى جدواها

(١) أحمدت الرجل : رضيت فعله وتصرفه
(٢) يراد بالصدى الاشاعة وتوشى : انتشر

دراسات

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٣ —

تألق نجم بيراندللو بعد النجاح العظيم الذى أحرزته روايته « المرحوم ماتياس باسكال » ، وكسفت شمسه أسماء الروائيين المعاصرين ، وبدأ النقدة يتحدثون عن فنه ويولونه اهتمامهم ، ثم اختير ليشغل كرسى أستاذ الأدب الايطالى بالجامعة وانتعشت حالته المالية بما أمكن أن يمحو من سجل حياته بعض المتاعب المادية ، وأن يسدل عليها ستار النسيان

ولكى نعطى صورة واضحة من حياة هذا الكاتب وارتباطها بفنه ، نقول إن التغلب على المتاعب المادية لم يكن كل شىء ، إذ هبت فى بيته عاصفة عكرت الجو مرة أخرى ، فأعصاب زوجته تحطمت ، ونوباتها العصبية تزداد بسبب غيرتها العمياء من تلميذات زوجها فى الجامعة ، وقد حاول بيراندللو كثيرا أن يزيل شكوكها وأوهامها ، فسمح لها بألا تعطيه من راتبه إلا ما يسمح له بابتياع سجائر أو أجر الترام ، غير أن هذه المحاولات فشلت ، وأخذ هذا الحيوان السام الذى يدعونه الغيرة ينهش شبابها ودمها بعد أن قدم اليها أسلحة جديدة من الشكوك والأوهام ، ولم يكن لرأى زوجها أية قيمة عندها ولا أى تأثير فى نفسها . وعلى حين فجأة ذبل جمالها وانطفأ بريق عينيها وأصبحت تعتقد أنها مراقبة ومكروهة حتى من أولادها وأنهم جميعاً قد اتفقوا على أن يدسوا لها السم فى الدسم ولما اشتد بها الداء فكر إخوتها فى ادخالها إحدى مصحات الأمراض العقلية

وكانت الحرب العظمى قد شبت واختير ابنه البكر لخوض غمارها ، وفى غضون ذلك وقع أسيرا ، أما ابنه الأصغر فكانت تجرى له عملية جراحية باحدى مستشفيات روما حتى إذا اجتاز دور النقاهة أرسل فورا الى خطوط النار

وكانت ابنة بيراندللو تتأذى من سوء معاملة الأم لها ولما فقدت الأمل فى ازالة الشكوك نحوها حاولت الانتحار غير أنها نجت ، ففكرت فى الهرب ودخلت أحد الأديرة لتقضى بقية حياتها بين جدرانه

وكان ستيفانو — والد بيراندللو — قد وصل من صقلية بعد أن صمد دهرا فى وجه المصائب ، فمن موت زوجه ، إلى افلاس تجارته وضياع ثروته ، الى غير ذلك من الآلام والمتاعب التى انتهت بفقد بصره

ولما كان بيراندللو مشغولا فى خلال هذه الفترة بمصير ولديه اللذين ذهبا الى الحرب ، ومضطراً الى أن يقضى يومه بين زوجة مأفونة ، ووالد عاجز ضرير ، وابنة وصمته بميسم العار ، كان لا بد من أن تخرج هذه الأشباح المعذبة التى تسكن ذهنه ، وأن يقدمها للناس فى ثوب درامى عنيف يجمع بين روح الواقع وبين الخيال

وهكذا غصت القاعة فى مسرح سكالا بميلانو ليشهد الجمهور مسرحية بيراندللو الجديدة « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف » Sei persone alla ricerca d'un autore التى ابتدع فيها فنا جديدا وطالما عوج بالصور والأشباح والشخصيات المجزأة

* * *

والواقع أن فترة المتاعب والآلام التى اجتازها هذا المؤلف

وسأجزيك ماتطيب به نفـ ... ـسك مما يناى من جَنَاها
زُرْ بى الدوق فى كساه وصفـ/ ... عارضاً خدمتى لكى يرضاها
فكأنى وقد تسربت كالما ... ء جرى بين نفسه ولحاها (١)
واصطفانى لنفسه ، وشكانى ... مطمئناً من همه ماعناها
وسرت فى أعماقها رُوحُ ألحا ... نى فهزت أوتارَ موسيقاها
واطَّبته فصاحتى كرسول ... نحو اوليفيا يُذيب صفاها
كنْ لسرى قبرا ؛ وأترك حالى ... للبالى تختارُ لى عقباها

القبطان :

نفّذيها ؛ وفى قرارة نفسى الـ ... ـسر لن ينتهى إلى أدناها
إن أحرك به لسانى فلا التذ ... ت عيونى بنورها وكراها !

ڤيولا : لك شكرى ، هيابنا !

القبطان : ربّ سدّد ... من خُطاه ! ولا أقول : خُطاها !

على أحمد باكثير

---

(١) اللحاء قشر العود أو الشجر

ر في كافة أطوار حياته هي التي دفعته إلى أن يقول بلسان ىدى بطلاته : « ليست الأعمال إلا حقائب خاوية تملؤها مانا »

وهي التي أدت به إلى أن يكره العقل ، لا لأن العقل سجين ، لأنه صدفة فارغة لا تملؤها سوى الغريزة العمياء . فالحوادث لها مثل الأكياس لا يمكنها الوقوف وهي فارغة . كذلك إذا يد أن يظل الحادث حياً في الذاكرة ، منتصباً بين ظلال الوعي جب أن يكون له معنى واضح وأن تستقصى الأسباب والبواعث لى أدت اليه

حتى نظريات بيراندللو ليست سوى إنذار بهدم المنطق وإفلاس العقل وتفوق الخيال على الحقيقة . وعنده أن للأرواح لغة خاصة تتفاهم بها ووسائل تدفعها من وقت لآخر للقيام بأعمال باهرة على حين أن الشخصيات المادية لا تتجاوز في علاقاتها غير الحديث العادي

ومما يحملنا على الاعتقاد بأن نظريات بيراندللو البيسكولوجية لا تصل به إلى تفسير الناس ، أنه يلجأ شخصياً إلى هؤلاء الناس لتفسير ألغازه . ولولا روح المرح والفكاهة التي تخلع على مؤلفاته ظلاً هائماً ومسحة خاصة لتباعد بينها وبين مركز الألم لكان فنه الروائي هو الجحيم والانسانية المعذبة

لقد درس كل من إدجار ألن بو وستيفنسن نظرية ازدواج الشخصيــة وفوضاها في الانسان . أما بيراندللو فهو يقسم الشخصية في فنه الروائي إلى عشرة أو مائة أو ألف أو أكثر . فالفرد عنده مكون من شخصيات متناقضة كالحيوان الخرافي الذي تتحدث عنه أساطير الاغريق . وهو لا يعرف الأخلاق والعادات ولا يقدر الارادة أو الشهوة المتغلبة لأن جميع مشاعره قابلة للتحول والتغير والتأثر

على أن أهم ما يرتكز عليه فنه ظواهر التحليلات النفسية وتعدد النازعات . فكل شيء في نظره مرجعه إلى التفسير ، بل قد يجوز أن يتخذ شخص ما صورة معينة في نظر أحد محللي نفس الشخصية . وقد قال بيراندللو بلسان إحدى بطلاته في روايته « شهوة الشرف » : « لاشك أن مدام أنيتا هي امرأة أخرى ، وليس هذا كل ما أقوله ، بل هي أخرى وأخرى وأخرى أيضاً ، بعدد الأشخاص الذين تعرفهم والذين يعرفونها »

وفي عام ١٩٢٤ ترك بيراندللو منصبه في الجامعة ليتفرغ للأدب والمسرح فوضع روايات : حصان في القمر ، ومهزلة الموت والفخ ، وأنت تضحك ، وزوجها ، وهنري الرابع . وسافر برفقة فرقة تمثيلية ألفها إلى عواصم أوربا ومدنها ، وبمرور الزمن تراكمت عليه الأعمال بسبب إخراج رواياته على مسارح باريس وبرلين ولندن ونيويورك وبونس إيرس وموسكو ، وكان لا بد من أن يسافر الى جميع هذه العواصم ليشرف بنفسه على إخراج رواياته

يقول ادريانو تلجر في كتاب نشره عن فن بيراندللو المسرحي Studi sul teatro contemporaneo انه لم يتأثر في فنه بالمؤثرات اللاتينية بل يدل أدبه على أنه تأثر بأدب الشمال » . وليس ذلك بغريب من كتاب الجنوب واللاتين ، والكثيرون منهم أمثال دانزيو وجوزيف جيا كوزا قد تأثروا الى مدى بعيد بأدب ابسن وطريقته في تحليل المشكلات الاجتماعية . والواقع أن ابسن سبق أن أقام فترة طويلة في ايطاليا وكان له الفضل الأكبر في تكوين مدرسة روائية مسرحية تمت الى فنه بأقوى الصلات

أضف الى ذلك أن بيراندللو برع في رسم مآسي الحياة وفواجع المجتمع براعة قلما أتيحت لكاتب يعاصره . وهو يتلاعب بألفاظه تلاعبا يخلع عليها وعلى أسلوبه مسحة تتفق ونظرياته الفلسفية في الانسان والروح . وليست دراماته سوى سرد ماضيه وتصوير نفسيته ، فهو من هذه الناحية لا يبحث الخيال ولا يتكلف التصوير ، ولكنه ممن يروحون عن أنفسهم بهذه الزفرات الموجعة

على أن الشيء الوحيد الذي يوجهه نقدة المسرح في أوربا الى فن بيراندللو يتلخص في نقطة واحدة ، هي أنه يجزىء شخصياته مما يؤدي الى هدم أساس الحياة والجنس البشري ، فبعض الشخصيات التي يضمها وسط الخيال تؤدي الى ضياع الفكرة التي ينشدها الفن المسرحي لاسيما وهو يعد الخيال حقيقة لا خطأ . ولو اعتبرنا الخيال واقعياً لوجب علينا بطريق الاستنتاج أن نعتبر الخيال والواقع متساويين من حيث الحقيقة ؛ ومع كل فبيراندللو هو أكثر الكتاب الروائيين والمسرحيين انتاجا على الرغم من عدم تحوله عن نظريته التي يخضع لها في كل ما يكتب

(يتبع)

محمد أمين حسونة

القصص

دراسة من اسخيلوس

٢ — المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقودا من جمان دموعهن فيجعلنه قلائد على جيد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المتهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل في اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر في كتاب الغيب ! !

— ياللهول ! أصمتن يافتيات . . . أصمتن ! إن الزمن يسوق اليكن أحداثه فوق أعراف الثبج ... أنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويدا رويدا ! واحربا يا بناتي البائسات ؟ ! سفينة مصرية لا ريب في ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هي ذي قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وي ! لقد طوى الملاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم في المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولكن ! لا عليكن يافتيات ! لا عليكن أبدا ! إن لكن من هؤلاء الآلهة ذادةً ، وان لكن منهم حماة أباة ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأولمب وأي ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصي ! لقد قدم الأوغاد يطلبونكن لتمة الوحوش الذين لا يخشون الآلهة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبداً ... »

فترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنذوب من فَرَق ياأبتاه ! ياللفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « لتطمئن قلوبكن يا بناتي ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا الى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... إهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصبر الأرجيف المترفون على شياطين ايجبتوس ياأبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا القاذم من عاربي مصر .... فمن لنا ! من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال المقرنين في الحديد المقنعين في الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولكن ... لتقف معنا ياأبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين في السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذهم ضواري ليبيا ، لا يعرفون قرباناً ولا مذبحاً ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثاناً ! »

(يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن :)

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا ياأبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها في صخرة أو جذع . . . وقد لا يجدون مرفأ هنا فيقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ما هذا الفرق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من بيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله في ذلك .... تلبثن .... لا تفزعن .... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

(يخرج دانوس)

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهي كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبلبلت أفكارهن ، وتعلقن بالدمى المرمرية التي ... تناجت حتى ما تحس ... وتحجرت حتى ما تمي ...

وغابت السفينة عن الأنظار فجأة .. ولكنها غابت لترسو ..

وطفق الفتيات يهزجن ... ويصلين ... ويبكين ...

— ٩ —

(يدخل القائد المصري)

— « سو ... ش ... اصغين يا فتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن في السفينة معنا ! أسرعن ! لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وي ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تسرعن فستحل بكن نقمة ! سنشدكن من شعوركن ونجركن على الربى والأحجار حتى تدمى جسومكن ؛ الى البحر ... الى البحر ! »

(ويتقدم الجنود فيدافعون الفتيات فتقول كبراهن :)

— « ويل لكم أيها الضواري وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا إلى هنا ! »

— « أنصح لكم يا فتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التي لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة إلى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود الى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذي يفيض كل سنة دماً يصهر العاطفة ويحرق الضلوع ... ... »

— « وبعد ، إنني مرغم إذن على استعمال القوة المطلقة التي يخوليها الأمر الذي بيدي ! سأنتزعكن من مقاعدكن في هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخصوركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! إدعين آلهتكن ، وسنرى هل تهرع لمعونتكن !! أبداً لن تهربن من يدي إيجيبتوس أبدا ! إنه كالهواء مدرككن أنى وجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تماستكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك يا ابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! ياربيب التماسيح ! ليتها نطعمت بك ، أو خللت ثناياها بلحمك قبل أن تجيء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة يافتيات ! »

(يهم الجند أن يجروهن !)

— « أبانا ! أين أنت ياأبانا ! الغوث الغوث ! هذه المناكب الملطخة ! يا أمنا الأرض ! يا أبانا زيوس ! عونك يا آلهة ! ياسيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هـــذه الضواري ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يا فتيات ؟ هي ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تختلط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

(يجرها من شعورها)

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أنى مثلك أيها الأرقم ! الموت الموت ياسيد الأولمب ! زيوس يا آبي ! أدركني أستلحلمك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فستندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يا فتيات فهو خير لكن ! »

— « يا سادة آرجوس ! أدركننا ياأرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء إيجيبتوس الكرماء ستلاقينهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبيتن ، فشعوركن تطيعنا ، وهي أطوع لنا منكن ! »

(يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك)

— ١٠ —

— « وَيْ ! من أولاء ! من الجائسون خلال مماسكة بيلاسجوس ، العائثون في جنبات آرجوس ، غير المبالين بحرم الأرباب ! من أنتم يا هؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأدكون ... ـها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة !
... ر كون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهُجْر ! ؟
... مالك لمدالة تحميهن أيها الحق ! »

— « أى هجر وأى فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ؟ أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم الى هرمز ، حاى الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعا ! »

— « بل أنا أدين للنيل ... حابي ! ... [1] وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ »

— « اذا كان منها ما يحول بيني وبين ضالتي ... وإلا ... فسأمضي بصيدى »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... وإلا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأنى بك تشيع الكرم فى عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ما شئت ، فالجلة الأسراء من أبناء ايجبتوس ... آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شيء »

— « لا يعنيني أن تنقل اليهم أى حديث منى ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئني ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لى أن مارس [2] وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم نسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين هن ذلك ... فلن يذهبن معك برغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانوناً أقدس ، لم ينقش فى صخر ولم يسطر فى بردى ، فاسمعه من فمى ، واغرب من أمامى ! »

— « وى ! لقد ضمنت كلماتك اعلان الحرب علينا فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غدا يملأ الرجال السهل والجبل وشطئان هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم يدنسوا أفواههم بجعة الشعير ولا بنبيذ التمر ... أغرب يا أحمق ! » [1]

(ينسحب المصريون)

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً فى الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها المتيدة ، إن لكل مكن فيها حصناً أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فَقَرْنَ فى غرفاتكن ثمة ، فهى أخلق بكن ، وأطيب الى نفوسكن ، وأرْوَح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إنى وشعبى نفتديكن ، فقرن عينا وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأرباب عنا خيرا ، وكتب لك ولمملكتك السلامة ، وجملك وجملها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح الفزعة ، والنفوس المروعة ، التى أذهبت عنها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أبانا أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وناءت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيىء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! (ويوجهن القول الى وصيفات الملك) أما أنتن أيها الوصيفات فرشدننا الى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أمَةً جزاء ما خدمتننا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

(يدخل دانوس)

— « أحمدن الملك ، وصلين للآلهة يابناتى ! القرابين والضحيات الحر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما فى ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدمن الضحيات ! الثناء لهذا الملك الكريم يا فتيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ، حمداً له وشكراً ! !

(١) إله النيل (٢) إله الحرب

(١) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة فى هذا الزمان !!

البريد الأدبي

تاريخ جديد لليهود

تثير المسألة اليهودية اليوم كثيراً من الاهتمام ، ولهذا يصدر كل يوم كثير من الكتب التي تتعلق بالمسألة اليهودية أو تاريخ اليهود سواء بأقلام كتاب اليهودية أو غيرهم من الباحثين من مختلف الأمم . وقد صدر أخيراً تاريخ جديد لليهودية بقلم مؤرخ يهودي كبير هو الدكتور سيسيل روث C·Roth ، وعنوانه « تاريخ اليهود » ، ويقع الكتاب في مجلد واحد ، ومع ذلك يقدم الينا صورة شاملة واضحة من تاريخ اليهودية منذ أقدم العصور الى يومنا ، وقد صدر من قبل كثير من التواريخ الجامعة عن اليهودية ، مثل كتاب إيفالد وكتاب جريتز بين المؤرخين الألمانيين ، وكتاب ميلمان المؤرخ الانكليزي ، ولكن هذه المصنفات القوية الجامعة ينقصها اليوم طابع الجدة الذي يطبع الكتب المعاصرة ، ذلك أن المسألة اليهودية قد جازت منذ منتصف القرن الماضي الى يومنا أطوارا كثيرة هامة ؛ وكتاب الدكتور روث يمتاز بهذا الطابع المحدث ، والدكتور روث أستاذ موضوعه ، فهو من أكابر مؤرخي اليهودية وكتابها ، وقد كتب عدة مباحث عن تاريخ اليهودية في العصور الوسطى في السلسلة التي أصدرتها جامعة كامبردج عن تاريخ العصور الوسطى ، وفي دائرة المعارف اليهودية ؛ وكتب أيضاً تاريخ اليهود المتنصرين في اسبانيا وتاريخ اليهود في البندقية وعدة كتب ومباحث أخرى

ويقدم الينا الدكتور روث صورة واضحة جامعة من تاريخ الشعب اليهودي ؛ ويوضح لنا كيف أن اليهودي خلق منذ أقدم العصور « جوالا » يضرب في الآفاق ، وأنه يصح أن يسمى بحق « اليهودي التائه » ؛ ويرى الدكتور روث أن اضطهاد اليهودية منذ تفرقها يتخذ في جميع العصور وفي جميع الأمم أشكالاً وضروباً متماثلة ؛ ففي ظل الدول البربرية والنصرانية والاسلامية ، وفي الشرق والغرب ، نرى نفس الاجراءات والأساليب تتخذ لمطاردة اليهودية : القتل والتشريد والمصادرة ؛ والى يومنا نرى نفس الصورة المروعة ، وقد تزدهر اليهودية أحياناً في فترات قليلة نادرة ويتبوأ رجالها مناصب ممتازة في السياسة والمالية وفي العلوم والآداب ، ولكن يد المطاردة لا تلبث أن تسحقها ، ويحاول الدكتور روث أن يوضح لنا كيف أن اليهودية حصرت معظم اهتمامها في الشؤون المالية ، وكيف أن اليهودي انتهى بفعل الزمن إلى التخصص في الاتجار بالمال والربا ، ذلك أن اليهودي كان محروماً طوال العصور الوسطى من مزاولة أية مهنة أو حرفة أخرى ، ولم يترك له سوى احتراف المتاجرة بالمال والربا الممقوت ؛ ومن ثم كانت نشأة اليهودية المالية وتقدمها بمضي الزمن في هذا الميدان ؛ وقد كانت اليهودية منذ العصور الوسطى ملاذ المعاملات المالية والصيرفية

ومما يلفت النظر في كتاب الدكتور روث رأيه في صلب المسيح ، وكيف أن المسئول عن توقيع هذه العقوبة عليه هم الرومانيون لا اليهود ؛ وكيف أن اليهود كانوا يودون إطلاقه ؛

أما أنتن ، فخذن أهبتكن ... الى قلعة المدينة وذؤابة شرف آرجوس ! ولي عنكن وصاة أرجو ألا تخيب ، تلك أن تضربن بخمركن على جيوبكن ، ولا تبدين من معالم فتونكن ، ما تشغلن به قلوب الرجال ، وتبلبلن ببعضه أفئدة الناس ، ولا تنسين أننا في كنفهم وارفون في ظلالهم ... فالشرف الشرف يا بناتي ! والعصمة العصمة ! ! حتى نجتاز شوارع آرجوس ، فاغضضن من أبصاركن إذا ساورتكن الجماهير ، وأحدقت بكن الجماعات ؛ ولا تبادلن أحدا نظرة ... لا تدري إلا الآلهة ما بعدها ... »

ويلتف العذارى بأبيهن يعطينه موثقهن ، ثم يأخذن في انشادهن الحلو ، وتغنيهن الجميل ، وقد انقسمن الى جماعتين ، هذه تغني ... وهذه ترجع .. وتمتلىء الأرجاء شدوا و ... شجوا ... وموسيقى

دريني خشبة

(البقية — وهي خلاصة الدرامتين المفقودتين — في العدد القادم)

وهذا الا... ف ما اصطلح عليه معظم مؤرخى النصرانية من
...م الذين شددوا فى سلبه فى حين أن الرومانيين كانوا
...ون إطلاقه

ويتتبع الدكتور روث تاريخ اليهودية ومسائلها حتى يومنا .
وكتابه قيم جداً من الوجهة العلمية ؛ وأسلوبه قوى واضح ؛
ولا ريب أنه سيثير اهتمام كل مشتغل بالمسألة اليهودية أو تاريخ
الشعب اليهودى

كتاب عن بونابرت فى مصر

يعتبر مسيو فرانسوا شارل رو السفير الفرنسى السابق من
خاصة الباحثين فى تاريخ نابليون وفى تحليل شخصيته ومواهبه ؛
وقد خص الحملة الفرنسية المصرية بكثير من مباحثه وتحقيقاته ،
وآخر ما كتب فى هذا الموضوع كتاباً عنوانه « بونابرت حاكم
مصر » Bonaparte Gouverneur d'Egypte ، وفيه يحلل شخصية
بونابرت ونفسيته حين إعداد الحملة الفرنسية ؛ ويرى مسيو
شارل رو أن نابليون لم يكن يومئذ الجندى العظيم فقط ، ولكنه
كان أيضاً أديبا وصحفيا ، يقدر ما للدعوة والرأى العام من قوة ،
ولذلك لم يكتف بأن يزود جيشه بالمدافع والذخائر ، بل رأى فوق
ذلك أن يزوده بطائفة كبيرة من العلماء والفنيين وأن يحمل معه
مطبعة كاملة . وفى ذلك ما يدل على أن نابليون كان يتمتع بعقلية
عصرية لا تقل فى حداثتها وابتكارها عن عقلية عصرنا

ويقول مسيو شارل رو ان نابليون كان يقصد الهند عن
طريق مصر . وانه كان يقدر للذهاب والاياب إلى فرنسا ستة
أعوام . وكان يقول ان عمرى تسعة وعشرون عاما فقط ، وهذا
ليس بمهم ؛ وسيكون عمرى عند العودة خمسة وثلاثين » ولم يكن
نابليون تحدوه حين قدم إلى مصر أية عواطف دينية . أجل جاء
الفرنسيون إلى مصر أيام الحروب الصليبية ليقاتلوا الهلال
ويسحقوا الاسلام ، ولكن نابليون جاء إلى مصر ليحقق
مشروعاً سياسيا واستعماريا ضخما ، ولم يفته عند مقدمه أن يصدر
(عن طريق مطبعته) منشوراً إلى المصريين يقول فيه انه وجنده
مثلهم يعبدون الله ، وانه عاقب البابا ونهب مالطه وفرسانها
المتعصبين ، وانه لم يأت ليسحق الاسلام وإنما أتى بالعكس ليعيد
إليه مجده ؛ وكان نابليون طول إقامته بمصر يتظاهر دائماً باحترام
الشعائر والعادات الدينية وتكريم العلماء ومصادقتهم

بيد أن هذا الحلم الجميل قد انهار بسرعة ، ولم يلبث بونابرت
أن غادر مصر شبه هارب ؛ وقد عاد إلى فرنسا بعد أن حنكته
تجارب عديدة ؛ ولم يكن عدوه شعبا أو مجتمعا وإنما كان عدو
التعصب ؛ وقد الفى مصر ، أم العلوم والفنون منذ العصور الغابر
فى سبات عميق ، وألفاها فريسة للترك ، ولم يبق فى واديها النضر
غير أرض مجدبة ينتهبها من استطاع . بيد أنه إذا كانت الحم
العسكرية قد أخفقت فى تحقيق أغراضها ، فان الحملة العلمية ق
حققت أعظم الثمار ؛ وقد درس العلماء الفرنسيون كل ما فى مصر
من طبيعة ومن حيوان ونبات ، ودرسوا أحوالها الاجتماعية
وأمراضها المتوطنة ، وأنشأوا المجمع العلمى بالقاهرة ؛ وكان
نابليون يرهق علماءه بمختلف الأسئلة : هل يمكن زرع القطن
فى مصر ؟ وهل يمكن غرس الكروم ؟ وهل تقام طواحين
الهواء ؟ وهل يمكن تحسين خبز الفلاح ؟

كل ذلك يعرضه مسيو شارل رو فى كتابه الجديد بأسلوب
ساحر يجمع بين دقة البحث واتزان الحكم ، ومتاع العرض
ومن المحقق أن كتابه يعتبر ثروة جديدة فى مكتبة الحملة الفرنسية

رسائل الشاعر الروسى بوشكين

تستعد دوائر الشعر والأدب للاحتفال فى العام القادم بالعيد
المئوى لوفاة الشاعر الروسى الكبير « بوشكين » وقد كان
بوشكين من أعظم شعراء القرن التاسع عشر ، وكانت الروح
الأوربية اللاتينية تغلب لديه على الروح الاسيوية الروسية ؛ بيد
أنه لم يترجم كثيراً إلى اللغات الغربية وبخاصة إلى الفرنسية
كمواطنيه ومعاصريه الأكابر مثل جوجول وتورجنيف
ودستويفسكى . ويرجع ذلك إلى قوة شعره التى يصعب اخراجه
بلغة أخرى . وأعظم مؤلفات بوشكين هى بلا ريب قصته الشعرية
« أوجين أونجين » ، وهى دراسة بديعة للعادات والأخلاق
الروسية فى القرن التاسع عشر

وكان بوشكين رجلا غريب الأطوار والنزعات ، يضطرم
بعواطف غريبة . ومما يذكر أنه حينما اعتزم الزواج فى سنة
١٨٢٦ ، خطب فتيات عدة قبل أن يلتقى بالحسناء ناتالى
جونتشاروف ؛ وكانت تلك الفترة أكثر فترات حياته اضطرابا

ويعتزم الكاتب الروسى سرج ليفار بهذه المناسبة أن ينشر
رسائل الشاعر بوشكين إلى حبيبته ناتالى بنصها الأصلى ، وأن

ق عليها وأن يوضح ما غمض منها ؛ وهـذه الخطابات تصور حياة الشاعر فى هذه الفترة أحسن تصوير ، وهى فترة حافلة ختلف الحوادث والفاجآت وضروب السعادة الغرامية . بيد ن هذا الزواج السعيد لم يلبث أن انتهى بفاجعة مؤلمة . ذلك ان شكين قتل مدافعاً عن شرف زوجه ناتاليا فى مبارزة أصيب بها بجراح مميتة . وسيضم هـذا المجلد الذى يحتوى على رسائل شكين ترجمة وافية لحياة ناتاليا بقلم المسيو هوفمان ، وهى ترجمة ؤثرة شائقة

اة كاتب ألمانى كبير

من أنباء برلين أن الشاعر والـكاتب الألمانى الكبير إدوارد شـتوكن E: Stuchen قد توفى فى الحادية والسبعين من عمره ، وقد كان شتوكن شاعراً من الجيل القديم أعنى من شعراء الأمبراطورية ، وله شعر كثير يمتاز بقوته ورصانته ، وكان أيضاً باحثاً كبيراً يؤثر القصـة العلمية والتاريخية باهتمامه ، واشتهر شتوكن بنوع خاص بالابداع فى القصة التاريخية ، وأشهر قصصه من ذلك الطراز « الفاتحون » Die Eroberer ، وهى قصة تاريخية رائعة فى مجلدين كبيرين ، وتدور حوادثها حول فتح المكسيك على يد الاسبان فى أوائل القرن السادس عشر ؛ وبطل القصة البارز هو فاتح الـكسيك هرناندو كورتيز ، وبطلتها هى دونا مارينا الفتاة الهندية الشهيرة التى غدت خليلة الفاتح ومهدت للاسبان كثيراً من مصاعب الفتح ، ويصف شتوكن حوادث هذا الفتح الشهير وصفاً قوياً شائقاً ، ويستعرض أحوال الهنود الحمر ومدنيتهم وعاداتهم فى فصـول ممتعة تقوم على الحقائق التاريخية والعلمية الثابتة ؛ ويبدع بنوع خاص فى وصف الوقائع الدموية التى جرت بين الهنود والاسبان ، ومناظر الضحايا البشرية التى كان ينظمها الهنود للتقرب من الآلهة ؛ ويمزج شتوكن هذه الحوادث والمناظر التاريخية المروعة بلمحات من الخيال الساحر والعرض الشائق

وقد أحرز شتوكن برواية « الفاتحون » شهرة عظيمة ، ومازالت تعتبر من أعظم ما أخرجت القصة الألمانية المعاصرة ، ولشتوكن عدة قصص وكتب نقدية أخرى

وكان شـتوكن مدى أعوام طويلة عضواً فى الأكاديمية الألمانية للأدب القصصى

كتاب جديد لميترلنك

صـــدر أخيراً كتاب جديد للـكاتب البلجيكى الـكبير ميترلنك عنوانه « المرملة » Le Sablier ؛ ومن الصعب أن نحدد موضوع الـكتاب ؛ بيـد أنه كمعظم كتب ميترلنك مزيج من الاستعراض والنقد والفلسفة ، ويكتب ميترلنك عادة بروح ثورية ، ولـكنه يبدو فى كتابه الأخير أكثر هدوءا ؛ وهو يحمل فى الفصل الذى يخصصه لأحزان الأسرة الملوكية البلجيكية على القدر الجائر ، ولـكنه يثور فى وقار ؛ ويحدثنا ميترلنك عن ضعف الآثار المترتبـة على التعليم الدينى ، ويرى فى فلسفة باسكال ضعفاً ولا سيما فى نظريته الخاصـة « بالأسطورة التى لا تقارن » إشارة إلى النصرانية ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن الموت ، ويرى أنه ليس عدواً للانسانية بالقدر الذى تصوره روعته وآثاره المحزنة . وذلك أن الموت هو قانون الانسانية كلها ، وهذا التضامن فى تلقى محنة الموت من البشر جميعاً يسبغ على الموت صورة محبوبة . وربما استطاع الانسان أن يوفر على نفسه كثيراً من ضروب الألم والحزن إذا هو نبذ الحلم المستحيل « بأنه ذاهب لن يكون له ذهاب » . وما زال الانسان من حيث التضامن أقل شأناً من بعض الحشرات كالنمل مثلا ، فلو أن الانسان أدرك عاطفة التضامن على حقيقتها ، لغدا كل إنسان « إنسانية بأسرها »

حول ترجمة السخاوى أيضا

نشرت الرسالة فى العدد ١٤٣ ، وفى هذا المكان رد الأستاذ عنان على ما لاحظه أديب من قراء الرسالة على ما ورد فى ترجمته للحافظ السخاوى بخصوص كتابى « تحفـــة الأحباب » و « الاعلان بالتوبيخ » ، وقد تلقينا فى هذا الموضوع الـكلمتين الآتيتين :

— ١ —

اطلعت فى العدد ١٤٢ من « الرسالة » الغراء على ما كتبه الأديب الفاضل السيد محمود عساف أبو الشباب مصححاً نسبة كتاب (تحفة الأحباب فى الخطط والمزارات) إلى محمد بن أحمد الحنفى السخاوى الذى فرغ من تأليفه عام ٩٥٦ ، لا إلى محمد ابن عبد الرحمن السخاوى الشافعى المتوفى سنة ٩٠٢ مستدلا بما ذكره صاحب طبقات المالـكية ، وبعدم عد السخاوى (محمد

ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢) ذلك الكتاب فى جريدة مؤلفاته التى سردها بالتفصيل مرتبة مبوبة فى ترجمته لنفسه من (الضوء اللامع ـ الجزء الثامن) ، ويمكن أن يستدل لذلك بعدم احالة السخاوى فى تراجم (الضوء اللامع) على كتاب له فى المزارات مع كثرة احالته على مؤلفاته فى أكثر التراجم

ولكن الأديب أبا الشباب تسرع فى نقل عبارة الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان ، فقال فى ختام كلمته : (فاحقاقا للحقيقة ، وصونا لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع) ...

لأن عبارة الأستاذ عنان فى العدد ١٠٤ هى : (ونجد أخيراً فى تراث السخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة ، أولهما كتاب تحفة الأحباب . . . . وأما الثانى فهو كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ...)

وليس من شك فى أن (الأثر الثانى) هو من مؤلفات السخاوى إذ ذكره فى صدر مؤلفاته التاريخية ، والمؤرخون مجمعون على ذلك ، بل الكتاب نفسه ينادى بذلك فى كل باب من أبوابه ، فالأستاذ عنان أضاف الى مؤلفات السخاوى صاحب الضوء كتاباً لم يكن من تصنيفه (وله سلف فى هذه النسبة الخاطئة) ، والأديب أبو الشباب نفى من جريدة مؤلفات السخاوى كتاباً أجمعوا على أنه من تأليفه (وليس له سلف فى ذلك) جزى الله الجميع خيراً .

مع قراء الرسالة

— ٢ —

قرأت فى عدد الرسالة الأسبق كلمة الأستاذ محمود عساف أبو الشباب — عن السخاوى مؤلف الضوء اللامع والسخاوى الآخر مؤلف تحفة الأحباب فى المزارات ، ولهذه المناسبة أذكر أن كتاب تحفة الأحباب الذى طبع على هامش كتاب نفح الطيب — طبعة سقيمة — ليس للسخاوى الحافظ حقيقة ، بل هو لسخاوى آخر كان معاصراً له وتأخر موته عنه ، وثمة دلائل كثيرة تؤيد هذه النظرية ، وقد لا يتسع المقام لسردها فى هذه العجالة ، بيد أنى أقول — إن الأستاذ حسن قاسم « مؤلف كتاب المزارات المصرية والآثار الاسلامية فى مصر والقاهرة المعزية ، الذى يطبع الآن فى القاهرة — والذى لى حظ الشرف بالاشتراك فيه — قد أعلن أنه وفى هذا الموضوع حقه وأع... من العناية ما يستحق ، وقد تلمست من ترددى على دار الكتب المصرية — أن كثيراً من موظفيها يعلم ذلك ، وقد يكون قد التغيير العربى أو قسم الفهارس قام بتصحيح ذلك لخدمة التاريخ وأذكر مما قاله الأستاذ قاسم عن السخاوى مؤلف التحفة ، أ... على نور الدين حنفى المذهب ، ألف هذا الكتاب من الكواكب السيارة لابن الزيات — الذى طبع فى دار الكتب — ومـ... مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ المعروف بابن عين الفضلا... المحفوظ منه نسخة بدار الكتب وأصلها لعلى مبارك باشا ، وقد رأيناه كثيراً ما ينقل عنها فى خططه — ومنها نسخة — بـ... لجنة حفظ الآثار العربية

ويذكر أيضاً أن الأجهورى اقتبس كتابه هذا فى مؤلف ... « سماه مزارات الأشراف المدفونين بمصر » وترجم له فى خاتمته وهذا المصدر محفوظ منه نسخته الخطية بمكتبة الأستاذ قاسم ..

الآنسة فردوس عبد العزيز مظهر

بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن

غادر القاهرة إلى اليمن بعثة الجامعة المصرية ، وهى مؤلفة من الدكتور سليمان حزين وسيقوم بدراسة حفائر ما قبل التاريخ ، والأستاذ خليل يحيى نامى ويبحث فى النقوش والمخطوطات واللهجات الخاصة باليمن ، وهما من أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب ، والأستاذ مصرى شكرى وسيقوم بأبحاث فى الجيولوجيا ، والأستاذ محمد توفيق العربى ويبحث فى الحشرات بتلك البلاد ، وهما من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم

وتستغرق مدة إقامة البعثة باليمن ستة أشهر . وقد قررت الجامعة منح حضراتهم مكافأة قدرها ١٨٠٠ ج تلقاء أبحاثهم ودراساتهم وقد تزاد تلك المكافأة ٢٠٠ جنيه